دور التاريخ فى تربيـة الـوعـى الاقتصادى

د. أشرف غازى إسماعيل دويدار *

الملخص

وهكذا تناولت الدراسة دور التاريخ فى تربية وتنمية الوعى الاقتصادى ، فالتاريخ يعد مدرسة تربوية متكاملة ، فهو يربى الجانب العقلى والجانب النفسى والجانب الاخلاقى وكذلك الجانب الاقتصادى ولقد اكدت الدراسة أن التاريخ يرتبط بغيره من العلوم والتى منها علم الاقتصاد ، كما تناولت الدراسة أهم النظريات الاقتصادية المفسرة للتاريخ ، ويعد ابن خلدون العالم العربى الرائد الأول فى تأصيل نظرية اقتصادية مفسرة للتاريخ ، كما تعرضت الدراسة لبيان أهم الوظائف الاقتصادية للتاريخ ، فالتاريخ يوجههنا لاستثمار البيئة ويوقفنا على التجارب الاقتصادية للسابقين .

Abstract

This research showed that history has an effective role in developing the economic awareness as history is an integrated educational school . It builds the mental , psychological, moral, and economic sides of the character .

This research also ensured that history is related to other sciences as economy …etc…..

It also discussed the most important economic theories of history . Ibn Kholdon is considered the first Arab pioneer of the first economic theory of history .

This research also showed the major economic functions of history . It explained that history helps us to exploit the environment and make the good use of the past economic experiences .

المقدمة

إن العلوم الإنسانية ترتبط فيما بينها ارتباطاً وثيقاً، ولايمكن دراسة علم منها بمعزل عن الآخر والباحثون يحتاجون بشدة إلى الإحاطة والإلمام بها ؛ لأنها متشابكة ومترابطة ، وإذا كان هذا فى شتى العلوم فإن هذا يتجلى بشدة فى الدراسات التاريخية ، فعلم التاريخ يرتبط بكافة العلوم والفنون ولا يستطيع الباحث فى التاريخ أن يقرأ فى التاريخ أويكتبه إلا فى إطار من الثقافة الواسعة والعناية الكاملة بالعلوم الأساسية والمساندة .

يقول أحد الباحثين عن علاقة التاريخ بالعلوم الأخرى " إن التاريخ بما يتميز من صفاتٍ مرنة باستطاعته أن يحوى كل العلوم ، إذ بإمكان المؤرخ ضمن إختصاصه أن يكون مؤرخاً للشعوب والدول والأحداث وفى الوقت نفسه يمكن أن يكون مؤرخاً للعلوم والهندسة والطب والفلك والرياضيات ذلك أنه كان ولا يزال يوجد تاريخ للهندسة وتاريخ للطب وتاريخ للفلك ...ولكن ليس فى المقابل هندسة تاريخية أو طب تاريخى ".(حلاق ،١٩٩١ ، ١٥)

إن التاريخ يحتل بين فروع المعرفة " مكاناً صدراً ، وتشغل المؤلفات فيه نسبة عالية من الكتب التى تصدر فى الشرق والغرب على السواء ، وإلى ما قبل الحرب العالمية الأولى كانت المؤلفات فى التاريخ وما يتصل به من تراجم وقصص تاريخى وآثار وسياسة ومذكرات تمثل خمس المكتبة العالمية وفى أيامنا هذه - رغم اتساع ميادين المعرفة وغلبة الاهتمام بالعلوم الطبيعية والرياضية والطبية والهندسية على الاهتمام بما عداها- لا زالت مؤلفات التاريخ تحتل

◆ دكتوراه الفلسفة فى التربية - كلية التربية – جامعة كفر الشيخ

جانباً ضخماً مما ينشر كل عام .. وخاصة ذلك النوع الجديد من الكتب الذى يؤلفه نفر من أذكياء أهل الصحافة والأدب عن حوادث التاريخ الجارى " .(مؤنس ،١٩٨٤ ، ١١)

كذلك فإن ظروف ومقتضيات هذا الزمان كشفت عن أهمية التاريخ للعلوم الأخرى " فالتطورات السريعة فى كل جانب من جوانب العمل والفكر ، والتقلبات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى تتابع على الأمم ..والعوامل العديدة الأخرى التى تفعل فعلها فى هذا ا لعصر ..أدى إلى إهتمام متزايد بالماضى ، وإلى رغبة متسعة فى العودة إليه لاستجلائه ولاستيحائه فى فهم الحاضر وصنع المستقبل ".(أتكن ، ١٩٨٣ ، ج) .

أما عن أهمية العلوم المساعدة والمتصلة بعلم التاريخ يقول ابن خلدون " إن فن التاريخ محتاج إلى مآخذ متعددة ، ومعارف متنوعة ، وحسن نظر وتثبت ، يفضيان بصاحبهما إلى الحق ، وينكبان به عن المزلات والمغالط ".(ابن خلدون ، ١٤٢٥ ه ،١٧) . وهذه العلوم هو ما يطلق عليها العلوم الموصلة وهى تسمية مشتقة من علم التفسير .

ويرتبط التاريخ بالعلوم الاجتماعية ، بل إنه من طائفتها " إذ يستخدم اسم المواد الاجتماعية ليدل على مجموعة مواد : التاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية والاجتماع والاقتصاد والفلسفة والمنطق ..وإذا تأملنا هذه المواد الدراسية نلاحظ أنها مواد تعنى بدراسة الإنسان من حيث علاقات أفراده وجماعاته بعضهم ببعض ، ومن حيث العلاقات التى بين الإنسان والبيئة ، والمشكلات التى نشأت وتنشأ عن جميع هذه العلاقات ".(إبراهيم ، ١٩٩٤، ٨)

والمواد الاجتماعية هى " مواد إنسانية ، فالاسم الأول : المواد الاجتماعية يعتبر هذه المواد ألصق بالمجتمع من غيرها ، فهى فى الغالب من نسج المجتمع ، وتتصل اتصالا مباشرا بتطوره عن حالته البدائية إلى حالته الراهنة المعقدة ، وهى أيضا من نتائج احتكاك وتعاون الإنسان الاجتماعى بأخيه الإنسان ...والاسم الثانى : المواد الإنسانية ، فهذه المجموعة من المواد ألصق بالإنسان من غيرها ، فالإنسان يكتب التاريخ عن الإنسان والتاريخ والجغرافيا هما سجل العلاقة بين الإنسان والمجتمع ..والفلسفة عصارة فكر الإنسان بالإنسان ..ولهذا تسمى العلوم الإنسانية " (إبراهيم ، ١٩٩٤، ١١) .
إلا أن مهمة المؤرخ " أشد تعقيداً من مهمة أى عالم فى العلوم الاجتماعية غير التاريخية فالأمر الذى يثير إهتمام المؤرخ هو الصورة المعقدة للعوامل الفاعلة فى أية حالة "(أتكن ، ١٩٨٣،٩٤) .

إن العلوم الاجتماعية " لا تحل مشكلة تحليل التسلسلات الزمنية ، ولكنها تسهم فى فهم المؤرخ لسبب سلوك الناس والجماعات والمجتمعات ..فالخطوة الأولى فى تحليل التسلسلات الزمنية التاريخية لا تتم بالفحص الدقيق (للوثائق) ، بل هى بالأحرى فهم العوامل التى تكيف الحياة فى العالم من حولنا "(أتكن ، ١٩٨٣، ٩٢) أى بالعلوم الاجتماعية. ومن العلوم الاجتماعية الفلسفة والاجتماع والجغرافيا والاقتصاد .

ونظراً لأهمية الاقتصاد فى حياة الشعوب والأفراد - إذ إنه عصب الحياة وقوامها - فإن التربية الاقتصادية من الأهمية بمكان ، فهى لا تقل عن التربية العقلية والنفسية والاجتماعية والأخلاقية والسياسية وغير ذلك من جوانب التربية ، وإن لم تلق من الاهتمام والرعاية ما حازته أنواع التربية الأخرى .

والوعى التاريخى من أهم أساليب التربية الاقتصادية ، وهذا ما أكده أحد الباحثين بقوله :" فالذى يقوم بالعمل التاريخى .. متركز فى التراث الايجابى والكسب الحضارى مستلهم إياهما فيما يفكر فيه ، ويعده ويقدم عليه ، وهو أيضا ثائر على عوامل الضعف والتأخر والانحلال فى الماضى طامح إلى تخطى هذا الماضى والتسامى " (زريق ، ١٩٥٩ ، ١٨٩) .

إن من العسير " بل من غير العلمى ، أن يستطيع الباحث إجتزاء مرحلة زمنية تحددها الأيام والسنون ليقتصر على تحليلها وتشخصيها وتقويمها اقتصاديا ؛ فالزمان التاريخى هو بعد تتوالى

فيه الأحداث ومجريات الحياة فى تسلسل قد تتحرك فيه أوضاع المجتمع وأنساقه فى حركة بطيئة " (عمار ، ٢٠٠٥ ، ١٩) .

ومن الجدير بالذكر أن الوعى التاريخى بالجانب الاقتصادى جزء لا يتجزء من المنهج الإسلامى " فباستعراض الفكر الاقتصادى ... يتأكد لنا أن آراء المفكرين المسلمين من المنطلق الاقتصادى قد سبقت نظريات وأفكار (مدارس الاقتصاد الوضعية) بزمن بعيد وقد مثلت نضجا حضاريا ، ينبثق عن شريعة الإسلام ، ونظامه الاقتصادى القويم " (الأهدن ،١٩٩٤، ٨٠) .فالإسلام منهج متكامل للحياة الإنسانية ، ووفق هذه القاعدة ، فإن تربية الوعى الاقتصادى جزء أصيل من تاريخ الإسلام وقواعده وأصوله الاقتصادية المنبثقة أساسا من القرآن الكريم والسنة النبوية .

مشكلة الدراسة

تنطلق الدراسة من وجود أزمة حقيقية ، يعانيها (العقل العربى) وهى أنه يفكر فى ماضيه الاقتصادى بطريقة سلبية ، فلا يسعى لتحويل الماضى إلى قوة للحاضر والمستقبل ولا يحاول أن يتحرر من تبعات وأخطاء الماضى ، ولا يقوم بدراسة الخطط الاقتصادية السابقة التى تساعد على بناء الأمة من خلال استقراءها تاريخيا .

ومما زاد هذه المشكلة ، أن التاريخ العربى والإسلامى لا يزال يقرأ بدون وعى ، لا يزال يقرأ قراءة سطحية ، تتسبب فى إفساد الصحة العقلية التى يتمتع بها الأفراد ، لا يزال التاريخ يدرس فى المدارس والجامعات ، ويستحضر فى الوعى بصورته الرومانسية وبدون حس نقدى وبدون محاولة فهم لتاريخيته.

كما تعانى المجتمعات العربية والإسلامية من التفكك والفرقة والتخلف الاقتصادى والانحدار ولا شك أن التاريخ يحيى الأمجاد الماضية ، ويثير الهمم لبناء النهضة القومية فى شتى المجالات، فالوعى التاريخى من المقومات الأساسية للوجود وتكوين الأمم ودفعها إلى الأمام والأمثلة على ذلك متعددة يذكر أهمها : الأثر الهام الذى تركته المؤلفات التاريخية فى الانبعاث القومى بفرنسا وانجلترا وروسيا والمانيا وغيرها .

كما تعانى مجتمعاتنا من مشكلة خطيرة تتمثل فى خطر العولمة الاقتصادية ، والتاريخ يقدم وعيا وثقافة اقتصادية لمواجهة تلك التحديات .

وتتلخص مشكلة الدراسة فى السؤال الرئيس التالى :

- ما دور التاريخ فى تربية الوعى الاقتصادى ؟ .

ويندرج من هذا السوال الرئيسى الأسئلة الفرعية التالية :

١- ما أوجه علاقة علم التاريخ بعلم الاقتصاد ؟ .
٢- ما أبرز النظريات الاقتصادية المفسرة للتاريخ ؟ .
٣- ما أهم الوظائف الاقتصادية للتاريخ ؟ .
٤- كيف تسهم مادة التاريخ فى تربية الوعى الاقتصادى ؟ .

أهمية الدراسة

- تكمن أهمية الدراسة فى أنها تسعى إلى تأصيل علاقة التاريخ بتربية الوعى الاقتصادى فالتاريخ هو معمل تجارب الماضين ، وينبوع قيم الأسلاف .
- كما تبدو أهمية الموضوع أنه يتصدى لتلك الصيحة المحمومة التى أطلقتها بعض دوائر الأبحاث الإستعمارية والاستشراقية ، والتى تزعم أن مفكرى الغرب هم أول من أصلوا النظريات الاقتصادية كآدم سميث ، ولكن الدراسة تثبت أسبقية الإسلام والتاريخ الإسلامى فى هذا المجال ، كأسبقيته فى شتى الميادين .
- تفيد الدراسة القائمين على التعليم فى عملية الاستشراف الاقتصادى من المنظور التاريخى وكيفية الاستفادة من تجارب الأسلاف التربوية فى تحسين التعليم ، والتخطيط لمستقبل التربية .

- قد تفيد المسئولين فى وزارة التربية والتعليم القائمين على تخطيط وتصميم وتطوير المناهج بصورة عامة وبناة مقررات التاريخ على وجه التحديد ،حيث تقدم الدراسة تصوراً لمنهج التاريخ لئلا يكون مجرد سرد أحداث ، بل منطوياً على أبعاد التربية الاقتصادية وهادفاً إليها بتحليل أحداثه ووقائعه الماضية .
- ولما كان التاريخ مرآة الأمم ، يعكس ماضيها ، ويترجم حاضرها ، وتستلهم من خلاله مستقبلها كان من الأهمية بمكان الاهتمام به ، والحفاظ عليه ، ونقله إلى الأجيال نقلاً صحيحاً بحيث يكون نبراساً هادياً لهم فى حاضرهم ومستقبلهم الاقتصادى .

هدف الدراسة

تهدف الدراسة إلى : (١) معرفة أوجه علاقة علم التاريخ بعلم الاقتصاد ،(٢) الوقوف على أهم النظريات الاقتصادية المفسرة للتاريخ ،(٣) بيان اهم الوظائف الاقتصادية للتاريخ ، (٤) معرفة اسهامات التاريخ فى تربية الوعى الاقتصادى .

مصطلحات الدراسة

١- التاريخ

- التاريخ لغة

لم يرد لفظ التاريخ فى القرآن الكريم أو فى أحاديث الرسول ρ ، وهو من مادة :" (أرخ) والتَّأْريخُ (تعريف الوقت) والتَّوْريخُ مثله أَرَّخَ الكتابَ ليوم كذا (وَقته) والواو فيه لغة وزعم يعقوب أن الواو بدل من الهمزة وقيل إن التأْريخ الذي يُؤَرِّخُه الناس ليس بعربي محض وإن المسلمين أَخذوه عن أَهل الكتاب وتأْريخ المَسلمين أَرَّخَ من زمن هجرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم كتِبَ في خلافة عمر رضي الله عنه فصار تاريخا إلى اليوم " (ابن منظور ،١٤١٤ ه ، ٤) .

- والتاريخ اصطلاحاً

هو دراسة " الحوادث ، أو هو الحوادث نفسها ، والحوادث جمع حادث ، والحادث هو كل ما يطرأ من تغيير على حياة البشر ، وكل ما يطرأ من تغير على الأرض متصلاً بحياة البشر وإذا كان التاريخ فى حقيقته هو الحوادث ، وكانت الحوادث هى التغيرات والتغيرات وليدة الزمان إنتهى إلى أن التاريخ هو الزمان " (الحويرى ، ٢٠٠١ ، ٧) .

وترى الدراسة أن التاريخ وحده لا يكفى فى مجال التربية الاقتصادية ، وإنما بالوعى به والتأمل فى أحداثه والوقوف على مضامينه ، هذا ما أكده أحد المؤرخين القدامى بقوله : " وفى باطن التاريخ نظر وتحقيق ، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق فهو لذلك أصيل فى الحكمة عريق ، وجدير بأن يعد فى علومها وخليق " (ابن خلدون ، ١٤٢٥، ٧).

٢- الوعى الاقتصادى

- الاقتصاد لغة

من " (قصد) ، والقصد استقامة الطريق واعتداله ، والقصد فى الأمر (التوسط) ، فلم يَفرط ولم يُفرط ، والقصد فى النفقة لم يسرف ولم يقتر " (مجمع اللغة العربية ، ٧٣٨) .

- ويقصد بالوعى الاقتصادى اصطلاحاً

أنه " مجموعة القواعد والمعايير التى تدعو الفرد للتحلى بالسلوك الاقتصادى السليم ، والتى يحكم بموجبها على سلوكه بأنه صائب أو خاطىء " (الحمود ، ٢٠١٠ ، ٥١) . وترى الدراسة أن الوعى الاقتصادي هو تربية منظومة القيم الاقتصادية لدى النشىء ، منذ نعومة الأظافر ،

كقيمة الادخار ، وترشيد الاستهلاك ، والعمل ، والتكافل الاجتماعى والزكاة ، والاتقان والجودة وغير ذلك من قيم الاقتصاد .

الدراسات السابقة

لم يعثر الباحث على دراسة مباشرة تتعلق بموضوع الدراسة (دور التاريخ فى تربية الوعى الاقتصادى) ، ولكن وقف على بعض الدراسات ذات العلاقة بها ومنها :

١ - دراسة " نافع ، ١٩٨٢ "

استهدفت تلك الدراسة معرفة أثر استخدام مداخل متعددة فى تدريس مادة التاريخ لتنمية التفكير الناقد لدى تلاميذ المرحلة الثانوية . ولقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها :تنمية قدرة التلاميذ على التفكير الناقد ، وذلك نتيجة تدريبهم على ممارسة مهارات التفكير الناقد ولقد أوصت الدراسة بضرورة الكشف عن مداخل جديدة تزيد من فعالية المناهج الدراسية .

٢ – دراسة " الفقى، ١٩٨٨"

وتهدف هذه الدراسة أيضاً إلى بيان علاقة التاريخ بالعمليات العقلية العليا كالتقصى والتفكير النقدى ،حيث إنها تساهم فى عملية التحصيل الدراسى ، كما أن مادة التاريخ تنمى هذه الملكات الذهنية والفكرية . وتوصلت الدراسة إلى أن هناك علاقة قوية بين مادة التاريخ وتنمية العمليات الذهنية العليا ولكن الأمر متوقف على استخدام طرق التدريس المناسبة لاكساب هذه الملكات عند النشىء .

٣- " دراسة محمد ، ١٩٩٣ "

استهدفت تلك الدراسة التعرف على أثر استخدام المصادر والمواقف التاريخية فى التدريس فى تنمية التفكير الناقد وزيادة التحصيل لدى التلاميذ ، وتوصلت إلى ضرورة ربط المناهج الدراسية بالبيئة المحلية والمصادر المتاحة وتوجيه الطلاب نحو مصادر تعلم التاريخ الممكنة. وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج مهمة منها : فعالية المصادر التاريخية فى تنمية مهارات التفكير الناقد .

٤- دراسة " الغرباوى ، ١٩٩٨"

استهدفت هذه الدراسة استخدام البيئة المحلية كمصدر تاريخى فى تدريس مادة التاريخ وأثر ذلك على التحصيل وتنمية الانتماء لدى تلاميذ المرحلة الاعدادية. ولقد أوصت الدراسة بضروة توجيه التلاميذ إلى البيئة المحلية واتخاذها كمصدر فى تدريس التاريخ ، وذلك بإعداد أنشطة بحثية تتطلب منهم جمع معلومات واكتشاف حلول واقتراحات مفيدة .

٥ - دراسة "أحمد ، ٢٠٠٥"

استهدفت هذه الدراسة تقديم مقترح لمنهج التاريخ بالمرحلة الثانوية الأزهرية يمكن الأخذ به لتطوير منهج التاريخ بالثانوية بما يتفق مع فلسفة التعليم بالأزهر الشريف . من خلال ربط دراسة التاريخ بالدين الإسلامى ، وذلك لمواجهة تحديات العصر .

٦- دراسة :" تله ،٢٠٠٧"

ولقد هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على فاعلية الوحدة المقترحة فى تنمية التنور السياسى لطلاب كلية التربية ولاسيما شعبة التاريخ من خلال مادة التاريخ .وتوصلت إلى أن مادة التاريخ تسهم بنصيب وافر فى تنمية الجوانب السياسية ، فهى تنمى الاتجاهات الايجابية نحو الولاء للوطن ومراعاة مصالحه ، وممارسة الحقوق والواجبات والقدرة على التعبير والمشاركة فى الحوار ،وتقبل الرأى الآخر والنقد البناء.

٧- دراسة " فايد ، ٢٠٠٧"

ولقد أكدت هذه الدراسة على أن تدريس التاريخ لا زال يعتمد على الطرق التقليدية ، سرد أخبار حروب ومعاهدات ،دون تقديم تحليلات واقعية وتعليل ،وإبراز العلاقة بين الأحداث لذا توصلت الدراسة إلى أهمية اكساب الطلاب المعلمين الفهم الصحيح للسببية التاريخية حتى يساعدهم ذلك على أداء دورهم فى التدريس ، ولقد أكد على ذلك من قبل ابن خلدون فى وصفه لمهمة التاريخ قائلا : (وفى باطنه نظر وتحقيق وتحليل للكائنات) .

موقع الدراسة الحالية من الدراسات السابقة

من الملاحظ وجود أرضية مشتركة بين هذه الدراسة والدراسات السابقة من حيث التأكيد على أهمية التاريخ التربوية ، كدراسة سعيد نافع التى تناولت أهمية التاريخ فى تنمية التفكير النقدى ودراسة محمد الغرباوى التى أكدت على أن التاريخ يعزز القيم كقيمة الانتماء ، ولذا نجد دراسات سابقة أخرى نادت بإصلاح وتطوير منهج التاريخ ليؤدى دوره التربوى ، مثل دراسة علاء عبدالله التى ركزت على تقديم تصور لمنهج التاريخ بالأزهر يناسب أهدافه . ودراسة سامية فايد حول أهمية تطوير تدريس التاريخ بالسببية التاريخية .

ولكن هذه الدراسة تتمايز عن الدراسات السابقة بأنها تتناول دور التاريخ فى تربية جانب هام من جوانب التربية وهو الاقتصاد ، وكيف يسهم فى تنمية أساليب التربية الاقصادية .

منهج الدراسة

تعتمد الدراسة على المنهج التحليلى الفلسفى ، معتمداً على أسلوب تحليل المحتوى فى بعده الكيفى وذلك من خلال الجمع المتأنى والدقيق للسجلات والوثائق المتوفرة ذات العلاقة بموضوع البحث من أدلة وبراهين تبرهن على إجابة أسئلة البحث .

مخطط الدراسة

ويشمل ثلاثة محاور

-المحور الأول : أوجه علاقة علم التاريخ بعلم الاقتصاد .
- المحور الثانى : نظريات التفسير الاقتصادى للتاريخ .
- المحور الثالث : الوظائف الاقتصادية للتاريخ .

*المحور الأول: أوجه علاقة علم التاريخ بعلم الاقتصاد

لقد كانت " المهمة التاريخية الأولى للإنسان البدائى – وما تزال للإنسان المعاصر – هى إنتاج الوسائل الضرورية للمعيشة ، وكانت المهمة وما تزال هى إنتاج حياته المادية ، من أجل ذلك دخل الإنسان فى صراع عنيد ضد الطبيعة ، وذلك هو النشاط الإنتاجى بمعناه الصحيح .. الذى من خلاله اكتسب الإنسان المعرفة الأولى بالعلوم ، ودخل فيما بعد فى صراع ضد أخيه الإنسان . فإنه إذ يحور الإنسان شكل الطبيعة فإنه يحورنفسه ويتغير "(مرسى ،١٩٨٥، ٦٣) . فالتاريخ يرسم خطى هذا الصراع عبر القرون والأجيال .

لقد كان نظام الحكومة الإسلامية " وخاصة النظام المالى من العوامل التى أدت إلى قيام الحركة التاريخية وانتشارها ؛ لأن الضرائب (الخراج) على البلدان المختلفة تتباين حسب فتحها صلحاً أو عنوة أو بعهد ، وكانت المعاملة السياسية والاجتماعية نفسها تختلف فى بعض البلدان تبعاً لما حدث فى أثناء فتحها ، فدعا كل ذلك ، (والنظام المالى) خاصة إلى بحث تاريخ الفتوح والاهتمام بهذا الفرع من التاريخ " (نصار ، ١٩٨٢ ، ١٦) .

كما ارتبط الاقتصاد بالتاريخ فى الحضارة الإسلامية ، وبخاصة فى عهد عمر بن الخطاب " فنظام العطاء تغير منذ عهد عمر ، فصار بحسب الأسبقية إلى الإسلام ، أى إن الذين

أسلموا فى أول الدعوة يأخذون من العطاء أكثر مما يأخذ من أسلم بعدهم ، ومن أسلم وهاجر يأخذ أكثر من المسلم بعد الهجرة ، ومن أسلم وشهد بدرا يأخذ أكثر مما يأخذ من لم يشهدها من الذين أسلموا بعدها "(المرجع السابق ، ١٧) . فالتاريخ يعد الوسيلة المحددة للمستحقين ماليا بحسب الترتيب والسبق .

كما أن الاقتصاد عامة يختص بدراسة النظم الاقتصادية وما تواجهه من مشكلات فى الإنتاج والتوزيع والاستهلاك ، وهو بذلك يسعى إلى التعرف على خصائصه العملية والاقتصادية فى التكوينات الاجتماعية المختلفة سواءً كانت رأسمالية أو اشتراكية أو غيرها وحينئذ يتعرف للهياكل الاقتصادية والمشاكل التى تبدو فى أطرها مثل أساليب زيادة ثروة الأمم ، وكيفية استخدام الموارد الاستثمارية وتوزيعها بين الاستخدامات المختلفة ، ولذلك وجد فرع آخر فى ميدان الاقتصاد هو التخطيط الاقتصادى الذى يمكن اعتباره عملية تاريخية ، ونقطة البدء فيها هى الواقع الاجتماعى الذى يتحدد حاضره بتطويره فى الماضى ويأخذ فى ذلك بنظرة مستقبلية " (جامل ،٢٠٠٢، ٢٠) .

إن هناك علاقة " بين الاقتصاد والتاريخ ، فالاقتصاد له دور فى تسيير التاريخ ، وتقف العوامل الاقتصادية وراء الكثير من العوامل الاجتماعية والثقافية والدينية ، وتساعد على فهم نوع الحكم ومستوى الرخاء ، والعلاقات القائمة بين التجمعات السكانية ، وتحديد السياسة الداخلية والخارجية " (يزبك ، ١٩٩٠ ، ٥٥) .

والاقتصاد من العلوم الأساسية " التى يساعد الإلمام بها على دراسة التاريخ ، إذ إن العلوم الاقتصادية ذات أثر فعال فى سير التاريخ ، فالثروة الطبيعية فى بلد ما تحدد نوع الإنتاج الزراعى والصناعى ، ونوع التبادل التجارى ومدى نشاطه ، وطريقة توزيع الثروة الطبيعية أو الأموال ، ومدى تركزها فى يد طبقة أو طبقات معينة ... وتؤثر الظروف الاقتصادية فى علاقة الدولة بالعالم الخارجى ، سواء أكان ذلك فى الناحية الاقتصادية البحتة ، أم فى العلاقات السياسية ، وكذلك تؤثر فى مستوى قوتها العسكرية ومركزها فى المجتمع الدولى " (زناتى ، ٢٠٠٧ ، ٦٦) .

وعلم النقود " من العلوم الهامة فى دراسة نواحى من التاريخ ، فالعملة والأنواط بما تحمله من صور الملوك والأمراء وأسمائهم ، وذكرى الحوادث التاريخية ، وسنوات ضربها ، تقدم للباحثين مادة تاريخية قيمة بالنسبة للتاريخ القديم وتاريخ العصور الوسطى ، فالعملة اليونانية ..تكشف عن كثير من الحقائق فى تاريخ الجماعات السياسية التى كانت ذات كيان خاص مكنها من أن تسك هذه العملة " (المرجع السابق ، ٦٢) . ولم يعرف وجود بعض هذه الجماعات إلا عن طريق عملتها التى حفظها التاريخ من الضياع .

إن العلاقة بين تاريخ التربية والاقتصاد علاقة وثيقة " فالوضع الاقتصادى للمجتمع يعتبر أحد المحددات الرئيسية لتربيته ، وتعد التربية المؤسسة المسؤولة عن إعداد وتدريب القوى العاملة التى يحتاجها الاقتصاد ولذلك فإن لها دورا كبيرا فى دعمه وتطويره ، إن إقامة أى نظام تربوى على مدار التاريخ يحتاج إلى اقتصاد متين يسنده ويمده بأسباب الحياة والتقدم والازدهار ، ففى معظم الأحيان يمكن القول بأنه كما تكون الحالة الاقتصادية لمجتمع ما تكون تربيته ويكون تعليمه ، لأن الاقتصاد من العوامل الرئيسية المهمة التى تؤثر على حركة التربية والتعليم " (سورطى ، ٢٠٠٢ ، ٨٤). وحركة التاريخ الاجتماعى ككل .

كما تتوثق الصلة بين التاريخ السياسى والاقتصاد فقد عرف التاريخ الإسلامى " منذ قيام الإسلام صراعات داخلية وحروبا مع الدول المجاورة القريبة من مراكز الخلافة والبعيدة منها ، ربطت تاريخه بتاريخ تلك الدول ، بل بتاريخ البشرية جمعاء ، وكان العامل الاقتصادى يلعب فى هذه الصراعات والحروب دورا بارزا ، تارة بشكل واضح وتارة بشكل خفى ، لقد رفض تجار قريش وارستقراطيوها الدعوة الإسلامية وقاوموها لأنها كانت تهدد هم فى مصالحهم الاقتصادية ، وحاولوا إغراء النبى بالمال والجاه لأنهم كانوا يفكرون تفكيرا تجاريا .. وبدأت غزوات النبى التى استهدفت أول ما استهدفت ضرب المصالح الاقتصادية لكفار قريش .. وبعد وفاة النبى كانت أول

حرب خاضها المسلمون هى حروب الردة أى تلك الحملات التى نظمها أبوبكر الصديق ضد الأعراب مانعى الزكاة ...وتوالت الصراعات والنزاعات فى عهد الأمويين والعباسيين وفى العصور التالية ، وكان العامل الاقتصادى يلعب دوره فى هذه الصراعات تارة بشكل مكشوف وتارة بشكل خفى " (الجابرى ، ١٩٩١ ، ١١٢-١١٣) .

وهكذا نجد أن الحالة الاقتصادية تؤثر تأثيراً واضحاً على مجرى التاريخ الإنسانى ، إيجاباً أو سلباً محددة مستوى الرخاء أو الفقر ، مؤثرة فى مستوى العمران ونهوض الحضارة أو تدهورها . و من ناحية أخرى نجد " نفقات تعليم التاريخ طفيفة إذا قورنت بنفقات تعليم العلوم التى يتطلب اطراد زيادة الأجهزة ومعدات المعامل ، أما معمل التاريخ فهو الدنيا التى نتحرك فيها "(رواس ، ١٩٦٨، ١٥٠) .

إن التاريخ بمفهوم الآثار الموروثة عن الماضيين له علاقة بالاقتصاد ، وذلك بما يستجلبه من دخل السياحة ، فالآثار التاريخية لها دور فى دفع الاقتصاد نحو الأمام ، علاوة على أن " صناعة السياحة لا تحتاج إلى استثمارات ضخمة كالصناعات الثقيلة ، بينما عائداتها أكبر وليس لها آثار وخيمة على تلوث البيئة ..إن صناعة السياحة الأثرية تساعد فى إحداث كثير من التغيرات الاقتصادية التى تساعد على رفع معدل الدخل القومى ؛ وبالتالى دفع عملية التنمية الشاملة ..إنها تساعد على استغلال أمثل لموارد البيئة الطبيعية وتغيير معالم البيئة العمرانية ، بتعبيد الطرق ورصفها ، ومد حركة العمران وزيادته ومراعاة الفن والذوق الجمالى للمنطقة المحيطة ، والمحافظة على البيئة الطبيعية من عوامل تلوث الهواء والمياة ..وتحسين وسائل المواصلات المتنوعة وزيادتها خصوصا بعد حركة العمران" (دعبس ، ١٩٩٣، ١١٤-١١٥) .

كما أن علم الاقتصاد يعد من العلوم المساعدة لعلم التاريخ " فعلم النقود أو المسكوكات من العلوم الهامة فى دراسة نواح من التاريخ ، فالعملة والانواط بما تحمله من صور الملوك والأمراء وأسمائهم ، وذكرى الحوادث التاريخية ، وسنوات ضربها ، تقدم للباحثين مادة تاريخية قيمة بالنسبة للتاريخ القديم وتاريخ العصور الوسطى فى الشرق والغرب على السواء ، فالعملة اليونانية مثلا تكشف عن كثير من الحقائق فى تاريخ الجماعات السياسية التى كانت ذات كيان خاص مكنها من أن تسك هذه العملة ولم يعرف وجود بعض هذه الجماعات إلا عن طريق عملتها التى حفظها التاريخ من الضياع وتساعد العملة – والمسكوكات بعامة – فى دراسة تاريخ الأساطير والعبادات والفنون والعلاقات السياسية ، ونشاط التجارة أو فتورها " (زناتى ، مرجع سابق ،٦٢) .

والحق إن علم الاقتصاد هو الوحيد بين العلوم الاجتماعية " الذى استطاع أن يقدم حتى الآن مساهمة جدية للتاريخ ...فلا يمكن لأى مؤرخ مثلا أن يحاول تفسير ارتفاع الأسعار فى انكلترة فى القرن السادس عشر من دون أن تكون له بعض المعرفة بالنظرية الكمية للنقود وكذلك لا يستطيع مؤرخ يريد الكتابة عن أزمات سنة ١٩٢٩ ، أو سياسة نظام روزفلت الجديد ، أو التركيب التجارى العالمى الذى تأسس بعد سنة ١٩٤٥ ، دون أن يرجع إلى النظرية الاقتصادية .. وقد أصبح المؤرخون منذ أيام آدم سميث وريكاردو وماركس يدركون جيدا أهمية العوامل الاقتصادية فى تشكيل مجرى التبدل التاريخى ، ولكن الأمر لا يقتصر على أن علم الاقتصاد سبق العلوم الاجتماعية الأخرى فى تطوير نظرية متماسكة إذ بالإضافة إلى ذلك يبدو لمعظم المؤرخين أن المادة الاقتصادية أكثر تعرضا للتحليل الإحصائى والنظرى من مادة علم الاجتماع الأقل تماسكا " (العلى ، ١٩٩٧ ، ١٢٥- ١٢٦) .

المحور الثانى : نظريات التفسير المادى(الاقتصادى) للتاريخ

- **الأصول التاريخية للتفسير الاقتصادى للتاريخ :**

لقد أدرك الإنسان " منذ بداية رحلته فى الكون ، أن للبيئة الاقتصادية دوراً مهماً فى تشكيل الحدث التاريخى وفى قراءته الأسطورية الباكرة لتاريخه ، أدرك الإنسان أن البيئة وعاء التاريخ الذى يجهله عوض نقص معرفته به من خلال القراءة الأسطورية ، ولا تخلو الأساطير التى

تتحدث عن الأصول والبدايات من الإشارة إلى مظاهر البيئة الطبيعية ، بل إنها تحاول توظيفها فى نسيج القصة التى ترويها "(كريمر ، ١٩٧٤، ٧) .

فالمكان يمثل الركن الثانى من أركان الظاهرة التاريخية " والبيئة مسرح .. لابد من معرفة ملامحه التضاريسية والمناخية والجغرافية ، ويحلو للبعض القول بأن الجغرافيا توجه التاريخ وهو قول فيه كثير من الحقيقة ولكنه لا يحمل الحقيقة كلها ، وبقدر ما تقدمه البيئة من معطيات للإنسان ، وبقدر ما تطرحه أمامه من تحديات ، يتحدد شكل الانجاز الحضارى الذى يمكن للإنسان أن يحققه ؛ أى يتحدد شكل الفعل التاريخى .. إن الجغرافيا إحدى حقائق التاريخ وأحد مكوناته ، وأحد العناصر الكبرى المؤثرة فيه ، فقد تحكمت فى ظهور الحضارة فى مواقع بعينها كما حالت دون ظهورها فى مواقع أخرى " (مصطفى ، ١٩٧٤ ، ١٨٣) .

فلا يمكن أن نتصور " وجود الفعل التاريخى فى فراغ خارج إطار المكان أو البيئة ؛ ذلك أن التفاعل بين الإنسان والبيئة فى إطار الزمان هو الذى ينتج لنا الظاهرة التاريخية ، وإذا كان الزمن قاعدة الفعل التاريخى ، فإن المكان إطار هذا الفعل ، ومن ثم فإن البيئة بما تقدمه من معطيات تتمثل فى الأرض وشكلها وتضاريسها وطبيعتها ودرجة خصوبتها أو جدبها ، وما هو متوفر من مصادر المياه ، وموارد الثروة المعدنية أو النباتية ، وسواحل البحار والمحيطات ..فضلاً عن الظروف المناخية السائدة ، وما إلى ذلك من معطيات بيئية ، هذه البيئة تترك أثرها الواضح على شكل الظاهرة التاريخية ومدى أهميتها فى المجرى العام لتاريخ الإنسانية . وهذا الأمر الذى يفسر لنا حقيقة أن الحضارة فى بيئة نهرية فيضية ، مثلاً لابد أن تختلف عن الحضارة فى بيئة بحرية " (قاسم ، ٢٠٠٠، ٥٣) .

ويمكن القول أن التفسيرالاقتصادى للتاريخ " يرجع فى بداياته وتصوراته الأولى إلى عهود النشاط الفلسفى والفكرى اليونانى ، فهو انعكاس لأحد مظاهر ذلك النشاط الذى كان دائب التطلع لاكتشاف الكون والإنسان وتفسير ظواهر الوجود وحركة الإنسان ، فضلاً عن استكناه ما وراء الطبيعة ، ذلك أن النصوص اليونانية تنقل لنا ... أن البيئة الجغرافية لها دور فى بلورة طبائع الإنسان وتكوينه الجسمى وصفاته كالشجاعة والعنف والاستكانة "(النجار ، ٢٠١١، ١٥٨) . بل إن اهتمام الإنسان بالتأريخ بدأ بالاستناد إلى مظاهر الطبيعة الجغرافية مثل فيضان نهر، أوحدوث زلزال أوبركان .

ولقد تأثر الكاتب الإنجليزى هنرى توماس باكل " بالفكرة القائلة بأن الاختلاف الكبير فى المناخ بين كل من انجلترا واليونان وفلسطين ومصر والهند والصين يفسر لنا الاختلافات المذهلة بين تواريخ كل من سكان تلك البلاد ، ويعنى ذلك فى عبارة موجزة أن التاريخ فى خطوطه العامة على الأقل هو نتاج الظروف الجغرافية السائدة فى مسرح حوادثه " (سالم ، ١٩٩٦ ، ٢٥٠) .

كما أن الكثير من الحركات التاريخية لا يمكن تفسيرها إلا تفسيراً جغرافياً اقتصادياً " كتحركات القبائل العربية عبر رمال الجزيرة الواسعة كانت فى كثير من الأحيان بحثاً عن الكلأ والماء ، والهجرات العربية فى القرن التاسع عشر عبر البحر الأحمر كانت بقصد الاستقرار ، واهتمام القوى الأوربيةهذه الأيام بمنطقتنا العربية يكمن خلفه النفط والموقع الاستراتيجى ، وحركة الكشوف الجغرافية التى قادها البرتغاليون كان هدفها الأساسى الوصول لبضائع الهند ، وكشف إفريقيا واستعمارها كان يكمن وراءه منتجات الغابة الإفريقية بما فيها من خشب وزيوت ونخيل ، تلك الزيوت كانت تستخدم فى تشحيم الآلات التى كان التكالب عليها لا يقل عن البترول هذه الايام " (بدوى ، ٢٠٠٦ ، ٨٥) .

ولقد أكد المعنى السابق أحد الباحثين بقوله : " ولقد لعبت الهجرة الدولية دوراً هاماً فى التاريخ واتخذت أشكالاً عدة منها نزوح قبائل أو جموع بأسرها من مناطقها الأصلية إلى أقاليم أخرى ، قد يكون هذا راجعاً إلى عوامل جغرافية أو مناخية .. كالجفاف الطويل الأمد أو عدم توافر الموارد المائية فى المناطق الأصلية أو أن عدد السكان يزيد بسرعة تفوق كثيرا الزيادة

فى موارد العيش ، ومن أمثلة هذا النوع هجرة الأتراك العثمانيين من وسط آسيا إلى آسيا الصغرى " (البراوى ، ١٩٧٣ ، ٢٠٤) .

لقد كان للفكر الماركسى " أهمية خاصة من بين العوامل التى مهدت الطريق للثورة ضد (الطريقة التاريخية) المثالية ، والنظام الماركسى هو المعارض الصميم الذى ظهر فى الملجأ الأخلاقى للمدعيات الزائفة للمثالية " (باراكلو ، ١٩٨٤ ، ٣٥) .

إن علم التاريخ الماركسى " اتخذ نقطة بدايته من الوظيفة الأولى لكافة المجتمعات سواءً الابتدائية منها أو المتقدمة ، وهذه الوظيفة هى سد الحاجات الفيزيولوجية للإنسان ، وتوفير الغذاء والمسكن والملبس والمأوى وبقية الضرورات الأساسية للحياة " (المرجع السابق ، ٣٧) .

ورغم معارضة الماركسية للمثالية ، إلا إن هناك التقاءات فيما بينهما ، ويعلق أحد الباحثين على تلك النقاط بقوله : "لقد قبل ماركس من هيجل فكرة التاريخية الأساسية فى شئون البشر ، أى فكرة أن المجتمع الإنسانى تطور عبر الأزمنة من البناء الاجتماعى البدائى إلى أبنية أكثر تعقيدا وأرقى تطورا ، كذلك فقد وافق معه على أن المسار التاريخى هو فى أساسه جدلى أى إن الأشكال السابقة للتنظيم السياسى والاجتماعى حوت (تناقضات) داخلية اتضحت بمرور الزمن ، وأدت إلى سقوطها وحلول أشكال أرقى محلها كما اتفق ماركس مع هيجل على احتمال انتهاء التاريخ ، متنبئا ببزوغ شكل نهائى للمجتمع خال من التناقضات يكون فى تحقيقه نهاية المسار التاريخى " (فوكوياما ، ١٩٩٣، ٧٢) .

أما ما اختلف ماركس مع هيجل بصدده " فهو فقط نمط المجتمع الذى سيظهر عند نهاية التاريخ فقد اعتقد ماركس أن الدولة الليبرالية فشلت فى التغلب على تناقض اساسى وهو الصراع الطبقى الصراع بين البرجوازية والبروليتاريا .. ورأيه ..أن رأس المال ..أضحى سيد الإنسان المتحكم فيه أما بيروقراطية الدولة الليبرايه فهى عند ماركس لا تمثل غير مصالح معينة دخل المجتمع المدنى وهى مصالح الرأسماليين المهيمنين عليه " (المرجع السابق ، ٧٢-٧٣) .

كما أن ماركس يعارض فوكوياما الذى يرى " أن الليبرالية الاقتصادية هى النظام الاقتصادى الذى سيسود فى نهاية التاريخ فالمبادىء الليبرالية فى الاقتصاد - أى السوق الحرة - قد انتشرت ونجحت فى خلق مستويات من الرخاء المادى لم نعهدها من قبل ، سواءً فى الدول الصناعية المتقدمة أو فى دول كانت وقت انتهاء الحرب العالمية الثانية جزءً من العالم الثالث الفقير ، فالثورة الليبرالية فى الفكر الاقتصادى كانت أحيانا تسبق وأحيانا تتلو الاتجاه صوب الحرية السياسية فى مختلف بقاع الأرض " (النقيد ، ٢٠٠٧، ٥٠) .

الماركسية والتفسير الاقتصادى للتاريخ

يتزعم المدرسة الخاصة بهذه النظرية (كارل ماركس) ، الذى نشر آراء نظريته فى عدة أبحاث دعى من خلالها إلى إحداث ثورة تنفذ أفكاره ، ويرى " أن التاريخ تحكمه قوانين حتمية مصدرها حركة التاريخ ذاته أو ما يسمى بالحتمية التاريخية ، كما يرى أن الوضع الاقتصادى للمجتمع هو الذى يحدد صور نظامه ودرجة حضارته وثقافته ، وأن الإنتاج ونوعه وأساليبه هو أساس النظام الاقتصادى ، وأن الإنتاج لا يظل على أسلوب واحد ، بل هو دائم التطور ومن هذا التطور يخرج تطور المجتمع سواءً من ناحية قوانينه أم أفكاره ، أم فنونه أم عقائده وأن كل ما يلحق بالمجتمع سواءً من ثورات أم انقلابات سببها أوضاع العمل والإنتاج ، وأن النظام السياسى المتين يقوم على أساس اقتصادى راسخ ؛ ومن ثم فعلى باحث الظواهر التاريخية فى المجتمع أن يبحث عن البواعث الاقتصادية الكامنة وراءها " (بدوى مرجع سابق ، ٥٠) .

وهذا ما عبر عنه ماركس فى (بؤس الفلسفة) حيث يقول : "إن الناس عندما يكتسبون قوى إنتاج جديدة يغيرون من نمط إنتاجهم وبتغير نمط الإنتاج تتغير كل علاقاتهم الاجتماعية ، إن الناس الذين يقيمون علاقات اجتماعية وفقا لنوع إنتاجهم المادى ينتجون أيضا المبادىء

والأفكار والمقولات وفقاً لنوع إنتاجهم المادى وينتجون أيضاً المبادىء والأفكار والمقولات وفقاً لعلاقاتهم الاجتماعية " (Marx 1946 - 88) .

ولقد أكد المعنى السابق أحد الباحثين بقوله : " تقوم النظرية المادية على تفسير الحياة الإنسانية من خلال التفسير المادى والاقتصادى ، فالتفسير المادى للتاريخ يقوم على : تفسير يجعل للقوى المادية السلطان الأكبر على نشاط الإنسان كله ، فالقوى المادية والاقتصادية هى العنصر الفعال فى تاريخ البشرية وإن عوامل الإنتاج المادى هى أساس التغيرات الاجتماعية والإنسانية والروحية والفكرية ، وإن الفنون والتشريع وغيرها من مظاهر الحضارة غير المادية هى نتائج ملازمة وصيغ إضافية للمادية التاريخية " (الجندى ، ١٩٧٨ ، ٤٥) .

ولذلك يرى ماركس " أن المادة تفسر كل شىء فى الكون وفى المجتمع الإنسانى ، وإن العامل الحاسم فى حركة التاريخ هى علاقات الإنتاج ، وإنه حين يحدث التناقض بين علاقات الإنتاج يؤدى ذلك إلى الإنفجار وإلى تغيير نوعى وجذرى فى هذه العلاقات .. وقد وجد ماركس أن التاريخ يمثل صراعا عنيفا بين الطبقات الاقتصادية .. وهدف التاريخ عنده هو الوصول بالبشر إلى مجتمع لا طبقى وأن الشعور الإنسانى تتحكم فيه الظروف الاجتماعية ، وعند ماركس إن المادية هى الأساس والفكر ظل لها ، وبالجملة فإن ماركس يرى كل ما يقع فى التاريخ مرجعه إلى الأسباب الاقتصادية ، وما دامت الأسباب الاقتصادية دون غيرها هى التى تملى على التاريخ حركته وتسيره حيث تشاء فلا مجال هناك للاعتراف بآله خالق أو قوة وراء الغيب توجه البشر إلى مصائرهم " (المرجع السابق ، ٤٦) . ولا شك أن هذا شطط فكرى وعقدى ذهب إليه ماركس أن أنكر وجود الله تعالى مسبب الأسباب وصانع التاريخ كله بما فيه التاريخ الاقتصادى .

كما أكد ماركس على " أن التاريخ تحكمه قوانين يدركها العقل الإنسانى ، وهذه القوانين حتمية لأنها ناتجة عن حركة التاريخ ، وإذا أدرك الإنسان هذه القوانين استطاع أن يقرر صورة مستقبل الجماعة الإنسانية ، كما أن هذه القوانين ليست مثل قوانين العلوم البحتة ، وإنما هى حقائق متعلقة بطبيعة العمل والإنتاج وطرق توزيع الثروة " (بدوى ، مرجع سابق ، ٥٠) .

لقد مارس ماركس " الحياة الاجتماعية فى عصره بكل أبعادها ممارسة نضالية ..من تحليل بنية المجتمع الرأسمالى فى عصره واكتشاف قوانين تركيبها وقوانين تطورها ، أى اكتسب وعياً صحيحاً مكنه من النظر إلى التاريخ نظرة علمية ، ومثل ذلك فعل ابن خلدون قبله بقرون .

لقد عاش معترك الحياة فى عصره ، فتعرف على دقائق مجتمعه واكتشف قوانين تركيبه وتطوره " (الجابرى ، مرجع سابق ، ١١٩) .

ويمكن القول بان نظرية ماركس تنطلق من مفهوم أن أى " مجتمع أو حضارة نابع من المنجزات الاقتصادية التكنولوجية التقنية والبيولوجية والديمغرافية والظروف المادية عامة فأما البيولوجية فلها تأثير بلا نهاية على مصير الحضارة ، فانخفاض أو ارتفاع عدد البشر وازدهار أو تدهور الصحة العامة ، وانطلاق وازدهار أو تدهور الاقتصاد أو العوامل التكتيكية تنعكس عبر البنيان الثقافى ، كما تنعكس عبر البنيان الاجتماعى والاقتصاد السياسى " (برودیل ، ٢٠٠٧، ١٤) .

ولقد ظهرت إرهاصات المعرفة المادية " عند أرسطو، فأرسطو أول من تحدث عن قدم المادة وأزليتها وأسبقيتها على الفكر ، وجميعهم عرضوا الفكر باعتباره انعكاساً للواقع المادى الذى أفرزه ... وحاول أن يكتشف العلاقة بين القياس المنطقى ، والبرهان الرياضى ، وفطن إلى ذلك ، فجوهر القياس عنده مأخوذ من التفكير الرياضى ، بل إن القياس فى مضمونه ليس إلا أحدى مراحل البرهان الرياضى " (زناتى ، مرجع سابق ، ١٠١) .

و من الانصاف أن نعترف بسبق ابن خلدون للماركسية فى تفسيرها المادى للتاريخ ولكن من منظور إسلامى ، لا من منظور الالحاد كما ترى الماركسية ، حيث أكدت النظرية الخلدونية على أن الاقتصاد يؤثر على الحالة الاجتماعية كذلك " يؤثر على الحالة السياسية ، فالملك لايمكن فى نظر ابن خلدون أن يقيمه أى شعب إذ لابد لمن يقيم الملك أن يكون على درجة معينة من التقدم الاقتصادى، فالبدو لايقيمون دولة حتى الفتوحات وما تحدثه فى مجرى التاريخ جعل لها سببا اقتصاديا،ففى نظره أن الشعوب التى تقوم بالفتوحات هى الشعوب الأقل تقدماوالتى تتشوق إلى امتلاك الأراضى الواسعة لأنها لا تمتلك إلاالقليل "(النشار ، ٢٠١٢ ، ١٥٢) .

وترى الدراسة أن هناك نقطة التقاء بين ماركس وهيجل ، تتمثل فى التناقض والتعارض ولكن من ناحية أخرى نرى هيجل يؤكد على أن " كل ما يحصل من تغير فى العالم المادى الحقيقى إنما هو مجرد انعكاس لا إرادى لتقدم وتطور (روح العالم) ، أما ماركس فقد أكد حقيقة العالم الخارجى وبين أن المثل العليا والأفكار عند بنى الإنسان ، إنما هى نفسها نتاج البيئة الاقتصادية المادية وما يحصل فيها من تغير، لذلك ليس لها وجود خاص بها ، وإن صراع الطبقات لا يحصل فى عالم الأفكار كما ادعى هيجل وإنما فى عالم أحوال الناس الواقعى ، بواسطة ما يحصل فى الكيان الاقتصادى للمجتمع من تغير " (المرجع السابق ، ١١٢) .

وتتلخص النظرية المادية فى أن عملية الانتقال التاريخى" تتم من نظام اجتماعى لآخر ، فى ظهور مجتمع يضم عددا من المتناقضات ، تعقبها سلسلة من أعمال الضبط والتعديل ، تؤدى إلى اختفاء هذه المتناقضات ويتكون تطور المجتمع البشرى من عمليات جدلية ثلاث : أولاها استمرار ظهور المتناقضات فى التفاعل بين الإنسان والطبيعة ، وتبدأ العملية الجدلية الثانية بظهور تناقض بين القوى الانتاجية الجديدة وعلاقات الانتاج القديمة ، يعرقل القوى الانتاجية فى أول الأمر ، ثم يزول حين يتحقق التطابق بين علاقات الانتاج والقوى الانتاجية الجديدة وتبدأ العملية الجدلية الثالثة بظهور تناقض بين علاقات الانتاج الجديدة – أى الأساس الاقتصادى الجديد – وبين البنيان العلوى القديم ، هذا التناقض الذى يعيق فى أول الامر مولد الأساس الاقتصادى الجديد ونموه ، يستبعد حين يتمشى البنيان العلوى معه ، هذه العمليات الجدلية الثلاث مجتمعة ، تكون التطور الاجتماعى التاريخى للجنس البشرى " (الأخناوى ، ٢٠٠٣ ، ٩٢ – ٩٣) . وبهذا فحركة التاريخ تقوم على عملية تناقضات فى العلاقات الانتاجية التى سرعان ما تنسجم وتتوائم فيما بينها فيصير التقدم فى القوى الانتاجية هو فى النهاية حجر الزاوية للتقدم التاريخى بكليته .

الماركسية والفلسفة الجدلية المادية

إن الماركسية تعتمد على منهج(الديالكتيك) ، والديالكتيك يعنى الجدل أو المناظرة ، وكان اليونانيون يعنون بهذه اللفظة : فن الوصول إلى الحقيقة من خلال النقاش عن طريق كشف التناقضات فى أحوال الخصم ودحضها ، وتعتمد " الجدلية على فكرة محددة هى " أن المجتمع البشرى يتطور بسلسلة من التناقضات التى تشمل جميع مناحى الحياة : السياسية ، الاجتماعية الاقتصادية ، والثقافية والفنية "(زناتى ، مرجع سابق ، ١٠٦)

يقول ماركس : " إن أسلوبى الديالكتيكى لا يختلف عن الديالكتيك الهيجلى وحسب ، بل هو نقيضه المباشر ، فهيجل يحول عملية التفكير التى يطلق عليها اسم الفكرة حتى إلى ذات مستقلة إنها خالق العالم الحقيقى ويجعل العالم الحقيقى مجرد شكل خارجى ظواهرى للفكرة ... فمن المعالم الأساسية للأسلوب الديالكتيكى الماركسى أنه على العكس من الميتافيزيق ، لا يعتبر الديالكتيك الطبيعة تراكما عرضيا من الأشياء ، أو الظواهر ، لا ترتبط إحداها بالأخرى ، أو منعزلة ومستقلة ، بل يعتبرها كيانا كليا مرتبطا ارتباطا لا ينفصم تكون فيه الأشياء والظواهر مرتبطة ارتباطا عضويا "(المرجع السابق، ١١٠) .

ويمكن القول إن التفسير المادى للتاريخ " يبرز الدور الهام للإنسان فى نشاطه المادى الملموس فى حياته إلا إن هذا التفسير ليس شاملاً ، فهناك العديد من القوى غير الاقتصادية التى تعمل وتؤثر فى طبيعة الأنظمة الاجتماعية السائدة ، مثل الحوافز الدينية والبيئة الجغرافية والذكاء الإنسانى ..ولا ينبغى أن نغفل هذه القوى ونعتبرها عوامل ثانوية منبثقة عن القوى الاقتصادية "(الجيار ،١٩٧٤، ٢١). وبذلك يمكن اعتبار العامل الاقتصادى جانباً واحداً من جوانب التطور التاريخى ، وليس العامل الوحيد .

ومن أبرزما قاله النقاد فى النظرة المادية للتاريخ " أنها تعتقد أن أفكار واتجاهات عصرما إنما هى نتاج مرحلة التطور الاقتصادى التى تم الوصول إليها ، ولذلك لا يوجد قانون مطلق أو أخلاق مطلقة فى هذا العالم ، وإنما هذه كلها انعكاسات لإسلوب الإنتاج " (زناتى ، مرجع سابق ، ١١٢) . فهى تنكر الدين بل تقول عنه إنه أفيون الشعوب ولاشك أن طريق الخلاص للجميع (الشرق والغرب) يتجلى فى أن يكون الدين هو منهج الحياة الكلى الذى تتحرك فى إطاره وتنمو أنواع النشاط الإنسانى التى تفصح عن حقيقة الخلافة التى تعنى القيام على شئون هذه الأرض واستثمارها فى حدود منهج الله .

فمن رواد الماركسية (حنا) الذى أقصى العوامل " القومية والسياسية والدينية من حركة التأريخ ليقول : ولا نكون مجحفين على الدين إذا قلنا مستندين إلى وقائع تأريخية ثابتة ..إنه ليس طقسية الدين وحدها كانت العائق فى تقدم الحضارة ..بل الدين نفسه كان هو أيضاً هذا العائق ، إن غاليلو..لم يحكم من قبل الطقسية اللاهوتية بل حكم عليه من قبل العقيدة الدينية بالذات "(حنا ،١٩٥٨ ، ٢٨) .

ومن ناحية أخرى نجد" فى هذه النظرية تناقضاً خطيراً، حيث لا يرى ماركس شيئا أبدياً ومن ناحية أخرى يعرض فكرته عن التاريخ على أنها مطلقة ، وهذا تناقض لم يستطع أحد من تلامذة ماركس أن يزيله فنحن إذ نعتقد أن فلسفة عصرما ناتجة عن البيئة المادية له ، فهذا ينطبق أيضاً على الماركسية نفسها " (خليل ، ١٩٧٥، ٦٠) حيث إن أفكار ماركس تنطبق على عصره فقط وليست على العصور الأخرى .

ويرى أحد الباحثين أن أهم نقاط النقد الموجهة إلى نظرية التفسير المادى تتمثل فى " غموض مفهوم التغير (التحول الاقتصادى) ، ولا يمكن القول بما قالت بالفصل بين الانتاج والفكر فى مجتمع معا ، ولا يمكن القول أن صورة الإنتاج هى التى تعطى الصورة الظاهرة لنظام المجتمع وفكره .. كما أن العامل السياسى أقوى وأرسخ من العامل الاقتصادى " (بدوى ، مرجع سابق ، ٥٣) .

ويعبر أحد الفلاسفة عن قصور التفسير المادى بقوله : " إذا صح فى العقول أن التفسير المادى يمكن أن يكون صالحاً فى تعليل بعض الظواهر التاريخية الكبرى وبيان أسباب قيام الدول وسقوطها ، فإن هذا التفسير المادى يفشل فشلاً ذريعا حين يرغب فى أن يعلل وحدة العرب وغلبتهم على غيرهم وقيام حضارتهم واتساع رقعتهم وثبات أقدامهم . فلم يبق أمام المؤرخين إلا أن ينظروا فى العلة الصحيحة لهذه الظاهرة الفريدة ، فيرى أنها تقع فى هذا الشىء الجديد : ألا وهو الاسلام " (الجندى ، ١٩٨٦ ، ٢٢) .

وترى الدراسة أنه يؤخذ على الماركسية قولها بحتمية القوانين الاقتصادية " وظنها بأن التصنيع أولاً ثم الاشتراكية تجىء بعد ذلك لزوما ... إذ ظهرت اشتراكيات كثيرة فى بلدان كثيرة ثم أعقبتها حركات التصنيع ، أما الخطأ الثانى فهو فى حسبانها أن التحول (محتوم) أراده الناس أم لم يريدوه ؛ والصحيح ..هو أن هذا التحول مرهون بأن يختاره الناس لأنفسهم ويريدوه ليعملوا على حدوثه " (نجيب محمود ١٩٩٣، ٢٣٨) . فياليت كان التحول أمراً محتوما ؛ لتستريح الأمة العربية فى تواكلها التقليدى وتراخيها بعد طول مجد وتاريخ ، لكن التحول مرهون بالأخذ بالأسباب ، والجهود المضنية الهادفة .

ثم إن القول بأن حركة المجتمع والتاريخ محكومة بقوانين حتمية نابعة من طبيعة المراحل التى يمران بها " وطبقاً لمراحل جدلية مختلفة تتفق ومقتضيات الأوضاع الاقتصادية

والاجتماعية ، وبناء على أصل تصارع الطبقات ، الذى تجعله المادية التاريخية القانون الذى يوجه حركة المجتمع والتاريخ ..فإن هذه النظرية لا تنطبق على المجتمع الإسلامى على الرغم من أنه منقسم إلى فئات وتجمعات صغيرة ذات مصالح مختلفة واهتمامات متباينة ، لكن العلاقة بينها ليست بالضرورة تصارعية .. فملامح المجتمع المدينى الأول كانت الفروق الاجتماعية والطبقية واضحة لكن العلاقة بين طبقات المجتمع المدينى الأول لم تكن تصارعية " (البدور ، ٢٠١١، ٤٨) .

فالناس جميعهم شركاء فى عملية التغيير والقرآن الكريم خاطب الناس ولم ينظر إلى طبقاتهم أوعنصريتهم أو أى خصوصية بينهم . والتمييز بينهم بالتقوى والإيمان فحسب. ويمكن القول أن فلسفة ماركس " زادت الأمور سوءً ، إذ باعدت ما بين الإنسان وبين الاستقرار النفسى والروحى بعداً شاسعاً ، فانتزعت منه عقيدة الإيمان بالله واليوم الآخر ، وأفقدته الثقة بالقيم الأخلاقية التى ظلت منذ عرف تاريخ الإنسان حتى الآن المعتصم الذى تلوذ به الجماعات لضمان أمنها الجماعى ، وقامت للشيوعية الحديثة أول دولة فى العالم ، واستطاعت أن تحسن معيشة أبناءها عما كانوا عليه من قبل ولكنها لم تستطع - ولن تستطيع بفلسفتها المادية - أن تنقذ ابناءها من كل أنواع القلق والمخاوف النفسية والاجتماعية " (السباعى ، ١٩٩٨، ٧) .

لقد جحد ماركس " جميع نواحى البشرية غير الناحية الاقتصادية ، ولم يعر غيرها شيئاً من العناية ولم يقم للدين والأخلاق والروح والقلب وحتى العقل وزناً وقيمة ، ولم يعترف أن واحداً منها كان عاملاً من عوامل التاريخ ، وأن جميع الحروب والثورات فى التاريخ لم تكن إلا ثأراً لبطن من بطن وجهاد فى سبيل تنظيم جديد للنظام الاقتصادى وطرق الانتاج الصناعى" (الندوى ، ١٩٧٧، ٢٠٩) .

كما رأى ماركس أن الحروب الدينية لم تكن " إلا حرب الطبقات الاقتصادية ، استأثرت إحداها بموارد الثروة ووسائلها وطرق الإنتاج ، واجتهدت الأخرى فى أن تنافسها وتتناول قسطها ، أو أن تنظمها من جديد ، فوقعت الحرب ويجب أن تكون كذلك فى رأيه (بدر واحد والأحزاب والقادسية واليرموك) ووقائع ومعارك حفظها التاريخ " (المرجع السابق ، ٢٠٩) . ولكن الباحث يرفض بشدة تلك الرؤية الماركسية المحايدة للصواب والعقل والشرع ، فالغزوات النبوية لم يكن هدفها الأول اقتصادى وإنما عقدى (نشر الدين الإسلامى) .

هيجل والتفسير الاقتصادى للتاريخ

وكما قدم هيجل تفسير مثالياً عقلانياً للتاريخ ، فإن له تفسيراً اقتصادياً أيضاً ، مؤكداً على أهمية العامل الاقتصادى فى حركة التاريخ ، حيث قال: " لا ينبغى أن نغالى فى تأكيد شأن الطبيعة ، ولا أن نهون من شأنها ، فمن المؤكد أن جو (أيونيا) المعتدل قد أسهم فى إضفاء الصفاء والرقة على أشعار هوميروس ، ولكن هذا الجو وحده لا يخلق لنا شعراء من طراز هوميروس ، كما أنه لا يظل يأتى بمثلهم " (هيجل ، ٢٠٠٧ ، ١٥٧-١٥٨) .

لذلك وجد هيجل أنه " فى المنطقة المتجمدة والمنطقة الحارة لا يوجد الموقع المحلى المناسب لظهور شعوب التاريخ العالمى ؛ ذلك لأن الوعى المستيقظ يظهر محفوفاً بالمؤثرات الطبيعية وحدها وكل تقدم له انعكاس الروح على نفسها فى مقابل الطبيعة المباشرة ..فالطبيعة هى وجهة النظر الأولى التى يستطيع منها الإنسان أن يظفر بحريته داخل ذاته "(المرجع السابق ، ١٥٨) .

مونتسكيو والتفسير الاقتصادى للتاريخ

لقد ظهر فى العصر الحديث مفكرون يرون أن العامل الجغرافى والاقتصادى له علاقة وثيقة بأخلاق الناس ، ومن أبرز هولاء (مونتسكيو) فى كتابه روح القوانين الذى بين فيه " أن الطبيعة الاقتصادية والجغرافية ولاسيما المناخ عامل أساسى فى حياة الأمم وله علاقة وثيقة بطابع كل أمة وشرائعها ونظامها الاجتماعى والسياسى ، بما يعنى أن الجغرافية لها دور كبير

فى توجيه التاريخ .. فالمناخ له دور فى تحديد سياسة الدولة إذ إن المناخ الحار يقود الإمبراطوريات والممالك إلى الإستبداد " (النشار ، مرجع سابق ، ١٦٠) .

ولقد أكد المعنى السابق أحد الباحثين بقوله : " لقد حدد مونتسكيو العوامل التى تشكل قوانين الدولة وشكل الحكومة وشخصية الأمة فيردها إلى عوامل طبيعية ..جغرافية اقتصادية ... إذ يختلف الناس فى مختلف الأقاليم تبعا لعوامل المناخ وطبيعة الأرض والموقع ..؛ ذلك أن للمناخ أثرا على كل أجزاء الجسم الإنسانى وما به من عصارات وإفرازات ، ومن ثم يتشكل مزاج الإنسان وأخلاقه وعاداته وطباعه ، فحيوية الناس فى المناطق الباردة غيرها فى المناطق الحارة ، وقد ترتب على ذلك كثير من الأنظمة الاجتماعية ذات الطابع الخاص فى المناطق الحارة ، كتعدد الزوجات وتحريم الخمر وحجاب النساء ...إن حالة القحط قد أدت بالتتار إلى كثرة الحروب والتعطش للدماء والتدمير ، بينما تميل القبائل العربية إلى الحرية وإن عانت من القحط أيضا (صبحى ، ١٩٩٠، ٨٥) .

ولكن يلا حظ أن آخرين انتقدوا هذه الفكرة متعللين بأن التفسير الجغرافى والاقتصادى يجعل الإنسان كالنبات والحياة الإنسانية ليست كالحياة النباتية ، ومن هؤلاء كولنغوود فى كتابه فكرة التاريخ ،، وهذا ما يراه الباحث أيضا ولكن من الانصاف أن لا نتجاهل دور العوامل الجغرافية والاقتصادية تماما فى حركة التاريخ لكنها ليست العوامل الوحيدة الدافعة لحياة المجتمعات والشعوب .

ابن خلدون والتفسير الاقتصادى(المعتدل) للتاريخ

لقد ربط العلامة ابن خلدون الاقتصاد بالتاريخ فقال : " إن خلق السودان على العموم الخفة والطيش وكثرة الطرب ، فتجدهم مولعين بالرقص على كل توقيع ، موصوفين بالحمق فى كل قطر ... وتقرر أن الحرارة مفشية للهواء والبخار ، مخلخلة له ، زائدة فى كميته ، ولهذا يجد المنتشى من الفرح والسرور ما لا يعبر عنه ... ولما كان السودان ساكنين فى الإقليم الحار واستولى الحر على أمزجتهم ، وفى أصل تكوينهم ، كان فى أرواحهم من الحرارة على نسبة أبدانهم فتكون أرواحهم .. أسرع فرحا وسرورا وأكثر انبساطا ويجىء الطيش على إثر هذه " (ابن خلدون ، مرجع سابق ، ٣٩٧) .

لقد طور ابن خلدون فكرة تأثير العامل الاقتصادى فى الإنسان " إذ تبنى بداية القول بتقسيم الأرض إلى أقاليم مناخية ثلاثة حارة وباردة ومعتدلة ، ورتب على ذلك آثارا ذات علاقة أكثر وضوحا مع الإنجازات الحضارية للمجتمعات البشرية ومسيرتها البشرية "(النجار ، مرجع سابق ، ١٥٩) .

إن دراسة التفسير الاقتصادى للتاريخ لدى علماء المسلمين من الاهمية بمكان " وذلك لإبراز أهمية الفكر الإسلامى فى إيجاد حلول للمشكلات الاقتصادية ، مبنية على القيم والأخلاق الإسلامية والتعرف على الابتكارات والتنظيمات الاقتصادية التى ظهرت فى العالم الإسلامى ، وما يسود المجتمعات الإسلامية من تناقضات بين الفكر والتطبيق ، فالفكر الاقتصادى والحياة الاقتصادية مظهران مهمان فى حياة المجتمع ، ودراستهما تعد بحق من الوسائل التى تعين على التعرف على كثير من الأفكار فى ميادين العلوم الاجتماعية " (الزيان ، ١٩٨١ ، ٥) .

تتضح ملامح نظرية ابن خلدون الاقتصادية فى تفسير حركة التاريخ من خلال النقاط التالية :

١ – العامل الاقتصادى واستقرار الدولة

لقد أكد ابن خلدون على أهمية الاقتصاد فى بناء المجتمعات بقوله : " الدول المستقرة كثيرة الرزق بما استحكم لهم من الملك ، وتوسع من النعيم واللذات ، واختصوا به دون غيرهم من أموال الجباية فيكثر عندهم ارتباط الخيول واستجادة الأسلحة ، وتعظم فيهم الأبهة الملكية ، ويفيض العطاء بينهم من ملوكهم اختيارا واضطرارا ؛ فيرهبون بذلك كله عدوهم

" (ابن خلدون ، مرجع سابق ، ٢٩٩). ولكن قد يكون لقوة الاقتصاد سلبيات تؤدى إلى المجتمعات ، وانهيار الحضارات .

٢- الترف الاقتصادى وتأثيره التاريخى

ولقد تحدث ابن خلدون عن عامل (الترف) كعامل اقتصادى قد يكون سبباً فى إبادة الأمم فالترف " أهم معول مؤدى إلى انهيار الدولة ، فذلك لما يلزم عن الترف من فساد الخلق ، إن عوائد الترف تؤدى إلى العكوف على الشهوات وتثير مذمومات الخلق ؛ فتذهب عن أهل الحضر طباع الحشمة ، ويقذعون فى أقوال الفحشاء ، فضلاً عن أن الترف يذهب خشونة البداوة ، ويضعف العصبية والبسالة ، حتى إذا انغمسوا فى النعيم أصبحوا عيالاً على الدولة ، كأنهم من جملة الولدان المحتاجين إلى المدافعة عنهم ، فالترف مفسد لبأس الفرد ولشكيمة الدولة ، والترف مفسد للخلق بما يحصل للنفس من ألوان الفساد والسفه ، والترف مظهر لحياة السكون والدعة ، ودليل ميل النفس إلى الدنيا والتكالب على تحصيل متعها ؛ حتى يتفشى الخلاف والتحاسد ، ويفت ذلك فى التعاضد والتعاون ، ويفضى إلى المنازعة ونهاية الدولة " (صبحى ، مرجع سابق ، ١٤٩) .

ويقول " وأهل البدو وإن كانوا مقبلين على الدنيا مثلهم إلا إنه فى المقدار الضرورى ، لا فى الترف ولا فى شىء من أسباب الشهوات واللذات ودواعيها ، فعوائدهم فى معاملاتهم على نسبتهم وما يحصل فيهم من مذاهب السوء ومذمومات الخلق ، بالنسبة إلى أهل الحضر أقل بكثير ، فهم أقرب إلى الفطرة الأولى ، وأبعد عما ينطبع فى النفس من سوء الملكات بكثرة العوائد المذمومة وقبحها " (عبد المولى ،١٩٨٩ ، ٣٩) . وهذا هو الغالب ، فعن ابن عمر ، قال النبى ρ : (ألا أبشركم يا معشر الفقراء أن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم خمسمائة عام) (ابن أبى شيبة "١٣٧/٨") .

المحور الثالث :الوظائف الاقتصادية للتاريخ

إن العلاقة بين علم التاريخ والبناء الاقتصادى للمجتمع علاقة قوية " بل إن الصلة بين النمو الإنسانى والاجتماعى وبين التقدم فى الثروة مترابط ، فالثروة والقوة فى حاجة دائما لما يحسن توجيهها ويقوم استخدامها ، ويقرنها بإرادة الخير ، وما أكثر الأغنياء والأقوياء الذين دمر حياتهم وحياة من حولهم قلة بصرهم الإنسانى ، وتدهورهم الخلقى ، وما هم عليه من العمى الاجتماعى ومثال ذلك : ألمانيا كانت متفوقة فى مجال العلم والتكنولوجيا والقوة والثروة فى عصر هتلر ولكنها انهارت تماما ؛ بسبب جهل زعميها وقادتها بالقيم الإنسانية والفهم الإنسانى والاجتماعى وعدم قدرتهم على القراءة الصحيحة لتعاليم الدين ، ودروس الجغرافيا والتاريخ " (جامل ،مرجع سابق، ١٤) .

كذلك فإن التاريخ يمثل مصدراً للوعى بمصادر اقتصاد الدول الأخرى " فمن الدول التى تعتمد اعتمادا كبيرا على الموارد الخارجية لإقامة بنيانها الاقتصادى بل والسياسى .. إسرائيل فالمعونات الأمريكية لإسرائيل لا تنتهى اقتصاديا وعسكريا ، كذلك أجادت الحركة الصهيونية استثمار ما حدث لليهود فى الحرب العالمية الثانية على يد هتلر والنازية وضخمت ما حدث وأصبحت كلمة (هولو كست) أشبه بالسوط الذى تجلد به الصهيونية كل يوم الضمير الغربى وتبتز باستخدامة الدول الأوروبية " (سعودى ،٢٠١٠ ، ٩٠) .

ويزخم العالم الإسلامى بالمشكلات الاقتصادية ، والتى تحتاج إلى توعية بها " فالتخلف الذى هو نقص فى الوسائل على الصعيد الاقتصادى ... انتصرت الصين الشعبية انتصارا كاسحا فى هذا الجانب ، فقد كان يفرض عليها الخيار بين (الصنع والشراء) ولكنها لم تنتصر عليه ذلك الانتصار إلا بما قامت به من ثورة ثقافية وتوعية تربوية " (ابن نبى ، ٢٠٠٠ ، ٣٩) .

وما أكثر البلاد التى فى عصرنا الحالى ، والتى لا تنقصها الثروة ولا علوم الانتاج وتكنولوجياته ومع ذلك فهى فقيرة ومتخلفة بسبب جهلها بفلسفة تاريخ تطور الامم ، ونتائج

الانحراف عن اتجاه القيم والأخلاق واحترام القوانين وقيم الدين . من الأهمية بمكان أن نستلهم القيم التربوية فى الميدان الاقتصادى من تاريخ القصص القرآنى حيث عرض القرآن الكريم لقضايا تاريخيةٍ لأمم سابقة ، قد أصابها التأخر الاقتصادى ، بعدما كانت فى رغد العيش وسمو الاقتصاد ،مبينا لمبررات ذلك ، كما حدث لمملكة سبأ .

لا شك أن دراسة التاريخ الاقتصادى تعين على فهم الحقائق الاقتصادية ، كظروف الإنتاج من موارد متاحة أودرجة معينة من المعرفة الفنية ،وعلاقات الإنتاج والتوزيع وما يرتبط بها من علاقات قانونية ونظم ومؤسسات .

وتتجلى أهمية دراسة تاريخ الفكر الاقتصادى من أن " الإنسان كائن تاريخى ، لايفهم حاضره إلامن خلال دراسة تاريخة ، كما ان مستقبله محكوم إلى حد كبير بتراثه التاريخى . ومن هنا كانت أهمية الدراسات التاريخية لكل فروع المعرفة ، وفى ضوء هذه الحقيقة نجد أن دراسة تاريخ الفكر الاقتصادى تساعدناعلى مزيد من الفهم " (البلاوى ، ١٩٩٥ ، ١٥) .

ويعد علم الاقتصاد من العلوم المفيدة للدراسات التاريخية فهو" يعين على فهم ودراسة وكتابة التاريخ ذلك أن العوامل الاقتصادية أثبتت على مر التاريخ أنها ذات أثر فعال فى سير الأحداث التاريخية التى مرت بها الأمم ، يتجلى ذلك فى أثر الرخاء الاقتصادى فى النشاط السكانى والتطور الحضارى فى المجالات السياسية والاجتماعية ، وعلى العكس فالتدهور الاقتصادى له تأثير مباشر على استقرار الحكومات ..وتدهور النشاط العمرانى والحضارى " (عرفة ، د.ت ، ١١٩) .

إن التاريخ يوقفنا على من يتصدون لأى حركة تقدمية إلى الأمام ، لأنها تعرقل تقدمهم الاقتصادى إنهم يسعون " لإيقاف المجرى أو إعادته إلى الوراء ، أولئك هم الرجعيون .. فمنهم من ارتضى بما ينعم به من خيرات ومن نفوذ بارزٍ ، أو مصلحة قائمة ، فهو يخشى أى تبدل أو تغير ، إذ يرى فيه خطرا على نعمه وخيراته وخسرانا لنفوذه ومصالحه ، إن موقف هؤلاء إزاء الحركاتٍ الاصلاحية أو النهضات التحررية ظاهر بين فى خلال التاريخ ، كما أن من الظاهر البين أيضا أنهم إن استطاعوا أن يحتفظوا بمكانتهم ويحموا مصالحهم زمنا فإنهم لا يستطيعونه أبدا ، وأنهم أن تمكنوا من الوقوف فى وجه التاريخ المتبدل والحياة المتطورة فلحين محدود وأمد محصور "(زريق ، مرجع سابق ، ١٨٢) .

إن الكثير من الحركات التاريخية كان مبعثها العامل الاقتصادى ، ففىٍ عهد أبى بكر الصديق " ارتد عدد قليل من المتمردين عن الإسلام كدين ، بل مضوا ينشئون أديانا قبلية موازية ، غير أن القضية التى أثارت الغالبية العظمى من المتمردين كانت هى دفع نصيب الحكومة المركزية فى المدينة من الزكاة وهى الضريبة الإسلامية الخاصة التى انفردت الشريعة بفرضها على الثروة والإيراد " (منصور ، ١٩٩١ ، ٦٢) .

ويمكن القول إن الباحث التاريخى " الذى يتصدى للكتابة فى الموضوعات الاقتصادية لا يقف عند رصد الظاهرة الاقتصادية من انخفاض فى الناتج القومى للحكومات وبالتالى دخل الأفراد فضلا عن قلة الإنتاج وندرة السلع ، بل إن عليه القيام بتحليل هذه الظواهر للوقوف على أسبابها ونتائجها التى تتجلى فى معاناة أعداد كبيرة من السكان ، وعدم القدرة على إشباع متطلباتهم الأساسية المادية وغير المادية " (زريق ، مرجع سابق ، ١٢٠) وعلاقة كل ذلك بالبيئة الجغرافية والاجتماعية .

فدراسة الجوانب الاقتصادية " والجغرافيا السياسية .. هى تحليل عناصر القوة والضعف للدول وتشخيص أعراضها وسبل أغوارها وأبعادها فى سبيل الوصول إلى تقييم الوزن السياسى للدولة ، على أساس أن كل دولة تتكون من عناصر مختلفة ، طبيعية وبشرية واقتصادية ، وتتفاوت مستوى الدول على منحنى القوة ، باعتبارها نتيجة أوضاع جغرافية واقتصادية وتاريخية وحضارية ، وهى تعرف بالقوة الشاملة ، وعلى ضوء دراسة تلك المقومات يمكن تقييم الدول ، وتفسير العلاقات بينها وبين بعض على أسس جغرافية اقتصادية "

(burg and others ، 1957, P.4) . ويمكن الوقوف على أهم الوظائف الاقتصادية للتاريخ على النحو التالى:

١- دور التاريخ فى فهم البيئة واستثمارها

إن السلوك الإنسانى هو حصيلة التفاعل بين الطبيعة الإنسانية والظروف البيئية المختلفة وعندما يتعدل سلوك الفرد من خلال خبراته الماضية ، فإن هذا " التغير الذى حدث فى داخل الفرد هو وسيلة لتعديل الظروف البيئية عن طريق العمل " (النجيحى ، ١٩٦٧ ، ٢٥٣) .

فمما لا شك فيه أن دراسة التاريخ لها دور فى تنمية فهم الإنسان لبيئته ، وتتحقق هذه الوظيفة من خلال تفاعل الإنسان مع البيئة واستغلاله لثرواتها ، ومعرفة طبيعتها ، فلا يمكن تجاهل الظروف الطبيعية فى تغيير مجرى التاريخ.

إن علم الجغرافيا يحلل البعد المكانى للموقف التاريخى " فقلما توجد مشكلة اجتماعية إلا وللبيئة أثر فيها ، حتى الأحداث التاريخية الكبرى كانت أثراً لتغيرات حدثت فى البيئة ، كهجرة المصريين القدامى فى الصحراء الغربية ، وهجرة العرب إلى أقطار الشرق الاوسط وانهزام نابليون بونابرت فى روسيا ، وانهزام هتلر فى نفس المكان بعده ، بما يزيد على قرن وربع قرن من الزمن ، كلها أحداث تاريخية وإنسانية ذات أثر عميق وكلها كانت نتيجة أحوال جغرافية فى البيئة وأزمتنا الاقتصادية الحالية لا تفهم إلا بدراسة جغرافية وشاملة للأرض والسكان والأسواق العالمية " (جامل ، مرجع سابق ، ٢٣) .

فلا يمكن تجاهل العامل الاقتصادى والجغرافى فى حركة التاريخ ، فبسبب " البحر المفتوح تعرضت مصر والشام للموجات الافرنجية المتبربرة أيام الحروب الصليبية ، وما قبلها وما بعدها مما أدى إلى تدمير مراكز الحضارة العربية ، التى إن سلمت من موجات البر لم تسلم من موجات البحر بحكم طبيعتها الجغرافية السهلية المفتوحة ، التى تفتقر إلى الموانع والحواجز الجغرافية الحصينة ، التى يمكن أن تحميها من غائلة هذه الموجات المكتسحة ومن تسلل أو هجرة العناصر الغريبة الدائمة التسرب إلى الوطن العربى ، إن لم يكن بفعل الغزو ، فبفعل الهجرة المتتابعة للسكن والعمل والالتجاء ثم السيطرة " (الأنصارى ، ١٩٩٨، ١١٤) .

وتتضح وظيفة التاريخ البيئية والاقتصادية من خلال " نظرية التحدى والاستجابة التى وضعها توينبى والتى تؤكد مدى فهم هذا المؤرخ لتفاعل الإنسان مع بيئته ، والتحدى لم يكن فى كل الاحوال سلبيا ، بمعنى أن يأتى ذلك التحدى بالضرر على الإنسان ، كما أنه ليس بالضرورة أن تكون الاستجابة سلبية ، فحين عرف الإنسان طوفان الأنهار كانت الاستجابة لذلك بالتفكير فى إقامة السدود ، وحين تمثلت التحديات فى الحروب والدمار ، بدأ الإنسان يفكر فى السلام وحين كانت التحديات متمثلة فى الجوع فكر الإنسان فى البحث عن طعام .. ومن ثم كان لتلك النظرية دورها فى فهم تطور البناء الحضارى للمجتمعات البشرية " (النبراوى ، ١٩٩٦، ٢٤) .

كذلك فإن التاريخ يبرز أهم العوامل تأثيراً على البيئة ومجريات الأمور " فالعامل الاقتصادى كان من بين العوامل الهامة التى أدت إلى اندفاع العرب – عند ظهور الإسلام – من شبه الجزيرة التى يغلب على أكثرها الطبيعة المجدبة ، إلى سهول العراق الفسيحة وربوع الشام المورقة ، ويرجع ثراء المماليك والبنادقة وقوتهم فى أثناء العصور الوسطى إلى مرور التجارة العالمية بأراضيهم ... وكذلك نجد أن الانقلاب الصناعى فى أوروبا فى القرن الثامن عشر نتيجة للمخترعات الحديثة ، قد أحدث ثورة فى النظم الاقتصادية ، مما أملى على دول أوروبا الغربية سياسة التوسع والاستعمار للحصول على المواد الخام ولإيجاد أسواق لتصريف المنتجات الصناعية "(الزناتى ،مرجع سابق ، ٦٦-٦٧) .

وترى الدراسة أنه نظراً للتطور التقنى المتزايد وما يترتب عليه من تلويث البيئة ، وإخلال بالتوازن البيئى ، فإن منهج التاريخ يمكن أن يوجه بحيث يخدم الاتجاه الداعى إلى

تضمين التربية البيئية فى المناهج الدراسية ، إذ إن التاريخ يتضمن مادة مناسبة تفيد فى ترسيخ هذا الاتجاه .

٢- دور التاريخ فى مواجهة التحديات الاقتصادية للعولمة

حيث تفترض العولمة الاقتصادية ، التى هى أكثر وضوحاً الآن ، أن العالم قد أصبح وحدة اقتصادية واحدة ، تحركه قوى السوق التى لم تعد محكومة بحدود الدولة القومية " وإنما ترتبط بمجموعة من المؤسسات المالية والشركات متعددة الجنسيات ، وتفترض هذه الشركات أن العالم بالنسبة لها هو عالم بلا حدود اقتصادية أو سياسية أو جغرافية .. وهنا يبرز دور مناهج التاريخ المهم فى إلقاء الضوء على التكتلات الاقتصادية الكبيرة وكيفية مواجهة التغيرات الاقتصادية للقرن الجديد وإبراز العلاقة بين الاقتصاد والنواحى السياسية والحضارية " (بدوى ، مرجع سابق ، ٨٦) .

فالتاريخ يسهم فى التوعية بمخاطر العولمة الاقتصادية ، ومن ذلك ارتباط " النهضة الصناعية للعالم المتقدم بتصدير التلوث إلى البلدان النامية ، هذا بالإضافة إلى افتقار الدول النامية لمفهوم الامن البيئى ، الذى يتمثل فى توفير أساليب الحياة النظيفة الخالية من الأضرار والتلوث ، هذا فضلا عن عمليات إعادة التوطين للتكنولوجيا الملوثة للبيئة ، التى تقوم بها الدول المتقدمة والشركات متعددة الجنسية ، ولم تجد وطنا لها أفضل من البلدان النامية ، وذلك بعد إدراكها أن هذه الأنماط الكنولوجية تضر بصحة مواطنيها " (الجمل ، ٢٠٠٧، ٨٤) .

٣- دور التاريخ فى تنمية القيم الاقتصادية

يمكن من خلال مادة التاريخ أن نربى النشىء على القيم الاقتصادية ، مثل الاعتدال فى الاستهلاك وحسن التعامل مع السوق ، وتقدير قيمة الادخار ، والمحافظة على الموارد وتنميتها ، وتنمية قيم الجمال البيئى ، كما يمكن تربية النشىء على الرغبة الصادقة فى العمل بشتى الوسائل لتحقيق الرفاهية والتقدم البشرى .

ويؤكد المعنى السابق أحد الباحثين بقوله : " وتتضح فائدة القصص التاريخية كأسلوب هام تستطيع المعلمة عن طريقه بناء أسس القيم الاقتصادية لدى الطفل ، فمثلا تستطيع المعلمة أن توظف القصة لتوضيح أهمية قيمة الادخار ، عن طريق سرد قصص لحيوانات تدخر طعامها مثل النملة والسنجاب .. أو أن تروى القصص التى تؤكد قيمة العمل وضرورته .. أو أن تعرض صوراً غير مرتبة للأعمال التى يقوم بها أحد أصحاب المهن ، التى تتطلب ترتيبا معينا لأدائها ثم تطلب من الأطفال ترتيب الصور للوصول إلى مراحل العمل بطريقة صحيحة ، ثم إعادة سردها على شكل قصة " (الحمود ، ٢٠١٠ ، ٨٣) . ويمكن تنمية جميع القيم الاقتصادية بنفس الطريقة .

وترى الدراسة أن تنمية القيم الاقتصادية لا يتم بين عشية وضحاها ، بل إنها تتأصل فى نفوس النشء عبر السنين والأعوام (التاريخ) ، وذلك من خلال التربية الأخلاقية والتى تعد المصدر الأول للسلوك الاقتصادى ، فمنذ نعومة أظفار الأبناء ، فإنهم يربون على قيمة الصدق والأمانة والاعتدال والقناعة والوفاء وحسن المعاملة والسماحة والبشاشة ، كما يحذرون من السلوكيات الاقتصادية المنهى عنها شرعاً ، والتى منها الاسراف والتبذير والانفاق الترفى البذخى والغش والتدليس ، وكل صور الاعتداء على أموال الناس .

٤- التاريخ وتصحيح المفاهيم الاقتصادية الخاطئة

إن التاريخ يعد مقوماً وضابطاً لمسار العقل ومفاهيمه الأساسية ، والتى منها المفاهيم الاقتصادية ، وتتضح تلك الوظيفة العقلية للتاريخ من أنه ينمى لدى الفرد أنماطا عديدة من التفكير العلمى فهو من أفضل وسائل تربية الوعى الاقتصادى ، ويقول سيرت روبر " إن خير أنواع التربية ما نمى أعظم مقدار ممكن من قوى العقل ومداركه " (هرنشو ، ١٩٨٨، ١٣٩) .

ومما يصححه التاريخ أن المذهب الاقتصادى الإسلامى لا يرتبط بمرحلة تاريخية معينة " فالتقيد بأصول ومبادىء اقتصادية معينة ، جاء بها الإسلام منذ أربعة عشر قرنا ، لا يعنى كما تصور البعض أن الاقتصاد الإسلامى لا يعبر إلا عن مرحلة تاريخية معينة ، هى المرحلة الاقتصادية البدائية التى ظهر فيها بحيث لا يصلح لعصر اليوم ، عصر الفضاء والذرة " (الفنجرى ، ١٩٩٣ ، ٢٤-٢٥) . ونجاح التجربة الاقتصادية على مدى عصور تاريخية مختلفة يؤكد هذه الحقيقة .

كما أن التاريخ يبين " أن التنمية الاقتصادية ليست غاية فى حد ذاتها بل هى من أجل بناء الإنسان الذى هو أداتها وصانعها ، ومن ثم ينبغى ألا تتوقف عند مفهوم تحقيق ثروة مادية وبناء اقتصاد متنوع ، بل عليها أن تتعدى ذلك إلى تكوين المواطن القادر على الاسهام بجدارة فى مسيرة النماء والبناء الشامل " (الجمل ، ٢٠٠٧، ٧٠) .

كذلك فإن التاريخ يغير القناعات الاقتصادية الخاطئة ، وذلك بقراءة الحكم الاقتصادية للسابقين فهذا " سفيان الثورى يقول : الزهد فى الدنيا ليس بأكل الخشن ، ولا بلبس الغليظ إن الرجل ليكون عنده المال ، وهو زاهد فى الدنيا ، وإن الرجل ليكون فقيرا وهو راغب فيها " (الجندى ، ١٩٦٧ ، ٣٦) .

وخبرات التاريخ يحتاج إليها حتى المتخصصون فى الاقتصاد ؛ ليطمئنوا على صلاحية نظراتهم الاقتصادية فى المستقبل العاجل أو الآجل ، مسترشدين بمن سبقهم ، كما أنها تشكل خلفياتهم الثقافية " فابن خلدون كان لتجاربه التاريخية وحياته العلمية والعملية وتدينه دور كبير فى صياغة نظراته الاقتصادية التى ارتبطت بالعقيدة الإسلامية ، والتى ساعدته فى معرفة الأسباب والمسببات ..ويتضح ذلك أيضا فى استرشاده بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ..فى إثبات أفكاره المختلفه " (عبد المولى مرجع سابق ، ١٣-١٤) .

٥- التاريخ والمستقبل الاقتصادى

إن وظيفة الوعى التاريخى تتجلى كذلك فى الاستشراف الاقتصادى للمجتمع فالتحديات الاقتصادية التى أفرزتها الظروف المعاصرة " هى من النوع الذى يتسم بضخامة الأبعاد إلى جانب الإيقاع السريع المتلاحق والتعقيد المتشابك المتداخل ، وإذا كانت التنمية الشاملة المستمرة المحسوبة للمجتمع هى السبيل الوحيدة لمجابهة هذه التحديات فإن هذه التنمية فى حاجة لا محيص عنها إلى توجيه يسبقها ويواكبها ، ولكن هذا التوجيه لا يمكن أن يتبع نماذج جاهزة أو مسبقة ، وإنما لابد أن يتناسب مع الخطوط الأساسية لهوية مجتمعنا ، وهى الخطوط التى تمخضت عنها تجربتنا التاريخية بما فيها من نقاط قوة نسعى إلى تطويرها ونقاط ضعف نعمل على تفاديها ..وذلك حتى يتسنى لنا من خلال هذا العمل القائم على المعرفة الحقيقية أن نصمد أمام تحديات الفترة التى نعيشها ، والتى تطل على آفاق المستقبل الاقتصادى المنظور " (عبد الوهاب ، ١٩٩٥ ، ٢٧) .

إن الوعى التاريخى " بالنهضة وصلتها بالحاضر ليس هو الوعى بتشابه المشكلات بين عصرين . إنما هو الوعى بالمشكلات فى شروطها التاريخية المعيشة ، وإلا لكنا أمام إجابات جاهزة سلفا دون أى إعمال للفكر إذ يكفى العقل الكسلان أن يردد قول النهضة العربية طالما المشكلات هى ذاتها هى المشكلات ودون أن تقدم لنا النهضة أى درس معاصر .. إن الوعى التاريخى بالنهضة العربية يكون بفهمها وتجاوزها لا من واقع متخلف فحسب ، وإنما من وعى أرقى بالعالم أيضا وعى يغتنى باستخلاص دروس النهضة العربية وعبرها "(حجازى وآخرون ، ١٩٩٩ ، ١٠٢) .فعلى الإنسان الذى يسعى إلى القمة أن يستفيد من ماضيه جاعلا منه قوة دافعة ، تعينه على تحقيق أهدافه فى المستقبل .

إن الاهتمام بالتاريخ ليس ترفاً ولا تزيداً " بل هو من صميم مسألة النهضة الاقتصادية والخروج من عثرتنا التى طال أمدها ، ذلك أن التاريخ ليس الماضى بل المستقبل ، وهذه ليست

عبارة إنشائية . فإن الإنسان من حيث هو إنسان ، لم يسأل عن ماضيه ، بل ولم يدرك أن له ماضى إلا من منطلق إدراكه الحركة نحو مستقبل حتى حين حاول أن يلتمس شجرة نسبه .. فإنما فعل ذلك ليكون وعيه زاده نحو هدف يرمى إليه ، وينشد فى هذا الوعى بالماضى ما يعزز سعيه فكأنما الماضى أو التاريخ ليس خزانة معلومات وإنما هو وعى موظف لغاية مستقبلية " (جلال ، ١٩٩٥ ، ٣٣٤) .

إن الوعى التاريخى يتصدر "أولويات الأمة التى تهم بالنهوض الاقتصادى عاقدة العزم على الحركة نحو المستقبل ، فالمستقبل هو علة التاريخ ، بمعنى أن نظرة الإنسان إلى التاريخ وصورة وعيه به ، رهن بالسعى نحو بناء مستقبل محدد المعالم ، تحفز إليه حاجة عملية إذ بدون ذلك لا مكان للتاريخ بل لماض متوهم وبدون سعى الإنسان إلى مستقبل تحفزه وترسمه ضرورات عملية وتستثيره تحديات البناء .. يكون الحديث عن التاريخ ضربا من التحليق فى الفراغ ، بل لن يكون الحديث هنا عن تاريخ ، بل عن ماضى أو عن التاريخ الأسطورى ، إن الأمة تفكر لنفسها وبنفسها ، أى يكون لها فكرها المستقل ويتوفر لها ركن من أركان الإرادة الجمعية ، حين تعى ذاتها التاريخية فى استجابة لتحديات مفروضة على هدى مشروع عملى مستقبلى " (المرجع السابق ، ٣٠٥) .

إن دراسة " تاريخ الشعوب والقادة العظام ، وتاريخ المعارك التى غيرت وجه التاريخ وتاريخ الصراعات والمشاكل الدولية ، التى تنعكس نتائجها على مشكلات العصر الحديث ، إن لم يتفهمها التلاميذ ويتفهموا مواطن الخلاف فى الماضى ، فلن يتفهموا نتائجها فى الحاضر ، وذلك لأن الحاضر هو نتيجة تفهم أحداث الماضى ، كما أن المستقبل سوف يكون نتيجة تفاعل أحداث الحاضر ، والتاريخ قضايا وحلول وكل فترة هى نتيجة لقضية سابقة ، وهى فى الوقت نفسه مسألة لأحداث المستقبل .. فالقوانين والنظم الحكومية السائدة فى المجتمع لا يمكن أن تفهم مع حقيقتها إلا فى ضوء تاريخها ثم إنه لا توجد أية مشكلة من المشكلات العامة التى تهم الناس فى الحاضر لا يستطيع التاريخ أن يسلط عليها أضواء الماضى فى تفسيرها وتوضيحها "(بدوى ، مرجع سابق ، ٧٤-٧٥) .

ولقد أكد أحد الباحثين على أن التاريخ هو خبرة السابقين لاستنارة اللاحقين بهم ، وذلك بقوله: " والتاريخ وعاء الخبرة البشرية ، وهو العلم الخاص بالجهود البشرية ، أو هو المحاولة التى تستهدف الإجابة على الأسئلة التى تتعلق بجهود البشرية فى الماضى وتستشف منه جهود المستقبل ، وقد يحدث الظن أن التاريخ هو الماضى أو الأحداث التى طواها الزمن فى غيابه ، ولم تعد تهمنا فى قليل أو كثير ، وليس هذا بصحيح ، فالتاريخ يشمل الماضى والحاضر والمستقبل معاً ولا يمكن الفصل بينهم ، بل هو بالضبط وحدة لا تتجزأ ، كالنهر الدفاق المياه المتلاحق الأمواج لا تجد فى تياره فجوة ، ولا ترى بين أمواجه ثغرة "(الحويرى ، مرجع سابق ، ٧) .

وعلى هذا " فلا يوجد فى الحقيقة شىء مفاجىء فى التطورات العظمى للتاريخ ، ولا شىء يمكن توضيحه فى الأمور الإنسانية دون الرجوع إلى الماضى ، ومن هنا تظهر قيمة التاريخ وجدواه الاقتصادية ، إذ هو يتضمن الأسباب التى أوجدت الرجال والشعوب والإمبراطوريات فى الوقت الحاضر ، ويمدنا بالوسائل الوحيدة التى تمكنا من فهم الحاضر ، والأرض الصلبة التى نستطيع بها وضع الأساس لخطط مستقبلنا وتشير إحدى النصوص القديمة إلى أنه لو عرفنا شيئاً من ماضى أى جماعة من الرجال ، فلن يتوفر لدينا بعض الوضوح عن معنى سلوكهم الحاضر فحسب ، بل أيضا قدرا من الارشاد لما نتوقعه منهم " (المرجع السابق ، ١٩) .

ويمكن القول أن التاريخ استلهام للمستقبل الاقتصادى على ضوء السنن الربانية التى لا تتغير ولا تتبدل ولا تحابى أحداً ، فنحن حينما نقف على السنن الإلهية والتاريخية الثابتة فإن ذلك يعد لنا نبراساً يضىء لنا الطريق المستقبلى ، والمتعمق فى التاريخ يقرأ ببساطة ما يحدث على وجه الأرض من أمور ، ولا يخدع بسهولة ، مهما تفاقمت المؤامرات ومهما تعددت وسائل المكر والمكيدة ، فهو وكأنه فعلا يرى المستقبل ، إنه يعرف بوضوح أين يضع قدمه ، ويعرف كذلك

كيف يقود نفسه ومجتمعه وأمته ، فهو كالشمس الساطعة تنير الطريق لأجيال تتلوها أجيال ، وقد يمتد أثره إلى يوم تقوم أن الساعة "(السرجانى ، ٢٠٠٩، ٣).

ومهما كان من أمر " فالإنسان باعتباره كائناً اجتماعياً لا غنى له عن دراسة ماضيه أو تاريخه ، وما يتبع ذلك من ضرورة التوجه بالنظر إلى آفاق المستقبل فى عصرنا الحالى الملىء بالتحديات ، ومن هذا المنطلق فإن الأمة التى تسترجع أمجادها ، وتكشف عن مآثرها العلمية والأدبية .. ثم انطوت على نفسها تتغنى بما كان لها من أمجاد تعويضاً لها عما تقاسيه من تخلف حاضرها هى أمة مشدودة إلى الماضى ضاع منها طريق الحاضر والنظرة الصائبة إلى المستقبل ، ويبدو الفارق واضحاً بين تلك الأمة وغيرها من الأمم التى تعود إلى ماضيها لتأخذ منه الدروس التى تنهض أساساً لإفادة الحاضر ، والانتفاع بتجاربها فى المستقبل لتلاحق متطلبات العصر وإنجازاته " (الحويرى ، مرجع سابق ، ٢٧) .

وترى الدراسة أن مثل هذه الأمة التى تحررت من تبعية التاريخ وأغلاله الثقيلة ، وأصبح لديها رؤية اقتصادية مستقبلية تتكأ على جذور الماضى ، فإنها تنطلق بعد ذلك مبدعة ليس فحسب فى ميدان الاقتصاد بل فى شتى المجالات الاجتماعية والسياسية ،وغيرها ، منافسة الشعوب الأخرى ومحققة التقدم والرخاء .

الخاتمة

وهكذا بعد أن تناولت الدراسة علاقة علم التاريخ بعلم الاقتصاد ، وأن الوعى التاريخ من أهم دعائم التربية الاقتصادية ، يمكن الوقوف على النتائج والتوصيات الآتية :

أولا : النتائج

- التربية الاقتصادية ضرورة من ضروريات العصر ،فالعالم يعيش اليوم أزمة اقتصادية حقيقية والتاريخ هو خير معين فى ذلك ، فهو مدرسة الاقتصاد الاولى .
- إن الوعى التاريخى يعمل على التنمية الاقتصادية للمجتمع من خلال الاستفادة من تجارب السابقين وقراءة مخططاتهم وبرامجهم الاقتصادية .
- لقد قدم العلامة ابن خلدون نظرية تاريخية اقتصادية ، تنم على أسبقية الفكر الإسلامى فى مجال الفكر الاقتصادى .
- إن مناهج التاريخ يغلب عليها الطابع النظرى ، وتفتقر إلى المهارات والتطبيقات العلمية والاقتصادية بالرغم من أن هذه المناهج تضم فى فلسفتها واهدافها نصوصاً واضحة من المهارات المطلوبة .

ثانياً : التوصيات

- توصى الدراسة بتدريس مقرر دراسى يجمع بين التاريخ والاقتصاد ، بهدف التربية الاقتصادية من خلال الوعى التاريخى .
- توصى الدراسة الأسرة بتربية الأبناء تربية اقتصادية ، بتنمية مفاهيمها وقيمها لديهم كالقصد والاعتدال والادخار ، والعمل والتخطيط ، وغير ذلك من مفاهيم اقتصادية .
- يتعين على بعض الباحثين خوض غمارالكتب التاريخية والمراجع الموسوعية المتضمنة لروائع التربية الاقتصادية واستخراج وتحليل تلك الموسوعات لاصطفاء ملامح تلك التربية وجعلها قريبة المتناول ، سالمة من التعقيدات التاريخية.
- يتعين على مسئولى التربية ، تكوين فريق (مفكرى المستقبل الاقتصادى) داخل كل مدرسة وهم مجموعة من المعلمين المتميزين داخل كل مدرسة ، يكونون فيما بينهم بما يعرف بالوعاء الفكرى الاقتصادى المستقبلى ، حيث يناط بهم مهمة استشراف المستقبل الاقتصادى للتربية معتمدين على التجارب الماضية .
- السعى للاستفادة من التجارب الإسلامية والعربية الماضية فى مسائل الوحدة الاقتصادية وما شابهها ، وبغية تحقيق سوق عربية مشتركة .

المراجع

- أولاً : الكتب

١- إبراهيم ، خيرى .(١٩٩٤) . **المواد الاجتماعية فى مناهج التعليم بين النظرية والتطبيق** ، دار المعرفة الجامعية الأسكندرية .

٢- ابن خلدون ، عبد الرحمن . (١٤٢٥) . **المقدمة** ، بيروت ، دار إحياء التراث .

٣- ابن منظور، محمد . (١٤١٤ه) . **لسان العرب** ، دار صادر ، بيروت .

٤- ابن نبى ، مالك . (٢٠٠٠) . **المسلم فى عالم الاقتصاد** ، دار الفكر ، دمشق .

٥- أتكن ، هيوغ . (١٩٨٢) . **دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية** ، ترجمة : محمود زايد ، ط٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت .

٦- الاخناوى ، فوزى . (٢٠٠٣) . **حركة التاريخ قضايا ومفاهيم** ، دار الثقافة الجديدة .

٧- الأنصارى ، محمد .(١٩٩٨) . **تجديد النهضة باكتشاف الذات ونقدها ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر**،بيروت.

٨- الأهدن ، فرهاد . (١٩٩٤) **التنمية الاقتصادية الشاملة من منظور إسلامى ،** مؤسسة دار التعاون للطباعة ، القاهرة .

٩- البيلاوى ، حازم .(١٩٩٥) . **دليل الرجل العادى إلى تاريخ الفكر الاقتصادى** ، ط١ ، دار الشروق ، القاهرة .

١٠- البدور ، سلمان .(٢٠١١) . **العالم الثالث الهوية والحضارة** ، ط١ ، دار مجدلاوى للنشر والتوزيع، عمان.

١١- البراوى ، راشد . (١٩٧٣) . **التفسير القرآنى للتاريخ ، دار النهضة العربية** ، القاهرة .

١٢- الجمل ، أحمد .(٢٠٠٧) . **دور نظام الوقف الإسلامى فى التنمية الاقتصادية** المعاصرة ، دار السلام ، القاهرة .

١٣- الجندى ، أنور .(١٩٧٨). **التفسير الإسلامى للفكر البشرى الأيدلوجيات والفلسفات المعاصرة فى ضوء الإسلام** ، دار الاعتصام.

١٤- ـــــــــــ (١٩٨٦) . **السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية** ، دار الكتب السلفية ، القاهرة .

١٥- ـــــــــــ .(١٩٦٧) . **من منابع الفكر الإسلامى** ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٩٦٧ م .

١٦- الجيار ، سيد .(١٩٧٤) . **دراسات فى تاريخ الفكر التربوى** ، ط١ ، وكالة المطبوعات ، الكويت .

١٧- الحليبى ، نواف.(١٩٩٤) . **المنهج الاقتصادى فى التخطيط لنبى الله يوسف عليه السلام** ، ط٤ .

١٨- الحويرى ، محمود. (٢٠٠١) . **منهج البحث فى التاريخ** ، دار المعارف .

١٩- الخطيب ، عبد الكريم . (١٩٧٥).الق**صص القرآنى فى منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتى آدم ويوسف** ط٢ ، دار المعرفة ، بيروت .

٢٠- الزيان ، عبد المجيد . (١٩٨١) . **النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون وأسسها من الفكر الإسلامى والواقع المجتمعى ،** الشركة الوطنية للنشر ، الجزائر .

٢١- السباعى ، مصطفى.(١٩٩٨) . **من روائع حضارتنا** ، دار السلام للطباعة .

٢٢- السرجانى ، راغب.(٢٠٠٩) . **بين التاريخ والواقع** ، الجزء الثانى ، القاهرة ، مؤسسة اقرأ .

٢٣-العروى ، عبدالله . (١٩٩٢) . **مفهوم التاريخ** ، ط٢ ، المركز الثقافى العربى .

٢٤- الفنجرى ، محمد .(١٩٩٣) . **ذاتية السياسة الاقتصادية الإسلامية واهمية الاقتصاد الإسلامى** ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

٢٥- العلى ، صالح .(١٩٩٧) . **الاتجاهات العامة فى الأبحاث التاريخية** ، عالم الكتب .

٢٦- القرضاوى ، يوسف .(٢٠٠٠) . **أمتنا بين قرنين** ، ط١ ، دار الشروق .

٢٧-النبراوى ، فتحية .(١٩٩٦) . **علم التاريخ دراسة فى مناهج البحث** ، ط٢ ، دار الآفاق العربية.

٢٨-النجار ، جميل.(٢٠١١) . **فلسفة التاريخ .. مباحث نظرية** ، مكتبة مدبولى ، القاهرة .

٢٩- النجيحى ، محمد .(١٩٩٢) . **مقدمة فى فلسفة التربية** ، ط٣ ، مكتبة الأنجلو المصرية .

٣٠- الندوى ، أبو الحسن .(١٩٧٧). **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين** ، ط١٠ ، دار المعارف.

٣١- النشار، مصطفى . (٢٠١٢). **فلسفة التاريخ** ، دار المسيرة للطباعة ، عمان .

٣٢-النعيم ، عبدالله .(١٩٩٧) . **الاستشراق فى السيره النبوية** ، المعهد العالمى للفكر الإسلامى .

٣٣- النقيد ، محمد .(٢٠٠٧) . **نظرية " نهاية التاريخ " وموقعها فى إطار توجهات السياسة الأمريكية فى ظل النظام العالمى الجديد** ، ط١ ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.

٣٤-باراكلو ، جفرى .(١٩٨٤) . **الاتجاهات العامة فى الأبحاث التاريخية** ، ترجمة صالح العلى ، مؤسسة الرسالة .

٣٥-بدوى ، عاطف . (٢٠٠٦) . **علم التاريخ جدواه ووظائفه التربوية** ، دار الكتاب الحديث ، القاهرة .

٣٦-بروديل ، فرناند . (٢٠٠٧) . **تاريخ وقواعد الحضارات** ، ترجمة : حسين شريف ، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٣٧-جامل ، عبد الرحمن .(٢٠٠٢) . **طرق تدريس المواد الاجتماعية** ، دار المناهج للنشر والتوزيع.

٣٨-جلال ، شوقى .(١٩٩٥) . **التراث والتاريخ** ، سينا للنشر .

٣٩-حجازى ، عبد العزيز ، وآخرون .(١٩٩٩). **نحو مشروع للنهضة العربية فى القرن الحادى والعشرين** ،المركز العربى للدراسات الاستراتيجية .

٤٠- حجازى ، محمد .(٢٠١٤) . **فلسفة التاريخ** ، ط١ ، دار الوفاء للطباعة والنشر، الأسكندرية .

٤١- حلاق ، حسن. (١٩٩١). **مناهج الفكروالبحث التاريخى** ، ط٣ ، دار المعرفة الجامعية ، الأسكندرية .

٤٢- حنا ، جورج . (١٩٥٨) . **الحقيقة الحضارية** ، ط١ ، دار العلم للملايين ، بيروت .

٤٣- خليل ، عماد الدين.(١٩٧٥) ، **التفسير الإسلامى للتاريخ ، دار العلم للملايين** ، بيروت .

٤٤- دعبس ، محمد .(١٩٩٣) . **العلاقات الاجتماعية للسائح** ، رؤية فى أنثروبولوجيا السياحة ،الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٤٥- راوس ، أ. ل.(١٩٦٨) . **التاريخ أثره وفائدته** ، ترجمة : مجد الدين ناصف وآخرون ، مؤسسة سجل العرب .

٤٦- زريق ، قسطنطين.(١٩٥٩) **نحن والتاريخ** ، دار العلم للملايين ، بيروت .

٤٧- زناتى ، أنور. (٢٠٠٧) . علم **التاريخ واتجاهات تفسيره** ، مكتبة الانجلو المصرية .

٤٨- سالم ، محمد.(١٩٩٦) **جدلية التاريخ والحضارة** ، مؤسسة شباب الجامعة ، الأسكندرية .

٤٩- سعودى ، محمد .(٢٠١٠) . **الجغرافية السياسية المعاصرة** ، مكتبة الانجلو المصرية .

٥٠- صبحى ، أحمد .(١٩٩٠) . **فى فلسفة التاريخ ، ط٣** ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الأسكندرية .

٥١- عابد ، محمد .(١٩٩١). **التراث والحداثة دراسات ومناقشات ، ط١** ، المركز الثقافى العربى .

٥٢- عبد المولى ، سيد.(١٩٨٩) .**الفكر الاقتصادى عند ابن خلدون الأسعار والنقود دراسة تحليلية** ، إدارة الثقافة والنشر ، السعودية .

٥٣- عرفة ، محمود .(د.ت) . **البحث التاريخى** ، دار الثقافة العربية ، القاهرة .

٥٤- فوكوياما ، فرانسيس .(١٩٩٣) . **نهاية التاريخ وخاتم البشر** ، ترجمة حسين أمين ، مركز الأهرام للترجمة.

٥٥- قاسم ، عبده .(٢٠٠٠) . **قراءة التاريخ تطور الفكر والمنهج** ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية .

٥٦- كريمر، صمويل . (١٩٧٤) . **أساطير العالم القديم** ، ترجمة : أحمد يوسف ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٥٧- منصور ، فوزى .(١٩٩١) . **خروج العرب من التاريخ ، دار الفارابى**، بيروت .

٥٨- مؤنس ، حسين. (١٩٨٤) . **التاريخ والمؤرخين دراسة فى علم التاريخ** ، دار المعارف .

٥٩- نجيب ، زكى.(١٩٩٣). **تجديد الفكر العربى ، ط٩** ، دار الشروق .

٦٠- نصار ، حسين . (١٩٨٠) . **نشأة التدوين التاريخى عند العرب ، ط٢** ، منشورات اقرا .

٦١- هرنشو ، ج. (١٩٨٨). **علم التاريخ ، ترجمة عبد الحميد العبادى** ، دار الحداثة .

٦٢- هيجل . (٢٠٠٧) . **العقل فى التاريخ ، ط٣** ، ترجمة : إمام عبد الفتاح ، دار التنوير للطباعة.

٦٣-يزبك ، قاسم .(١٩٩٠) . **التاريخ ومنهج البحث التاريخى** ، دار الفكر اللبنانى، بيروت .

ثانياً : الرسائل العلمية

٦٤- أحمد ، علاء .(٢٠٠٥) ." تطوير منهج التاريخ بالمرحلة الثانوية الأزهرية فى ضوء فلسفة التعليم بالأزهر الشريف ورسالته العالمية " ، **رسالة دكتواه** ، كلية التربية بدمياط ، جامعة المنصورة .

٦٥- الحسينى، مديحة .(١٩٩٣) ." استخدام المصادر والمواقف التاريخية فى تدريس التاريخ وأثره على تنمية التفكير الناقد نحو مادة التاريخ " ، **رسالة ماجستير** ، كلية البنات ، كلية التربية ،جامعة عين شمس .

٦٦- الحمود ، هناء .(٢٠١٠) ." دور معلمة الروضة فى بناء القيم الاقتصادية لدى أطفال الرياض ما بين سن (٥-٦) سنوات ، دراسة ميدانية فى رياض مدينة دمشق" ، **رسالة ماجستير** ، كلية التربية ، جامعة دمشق .

٦٧-الغرباوى ، محمد .(١٩٩٨) ." استخدام مدخل التاريخ المحلى فى تدريس التاريخ وأثره على التحصيل وتنمية قيمة الانتماء لدى تلاميذ المرحلة الاعدادية "، **رسالة ماجستير** ، كلية التربية ،جامعة المنوفية .

٦٨-الفقى ، عبد الرؤوف.(١٩٨٨) . "علاقة أسلوب التقصى والتفكير الناقد والميل نحو المادة بتحصيل مادة التاريخ لطلاب الصف الثانى الثانوى الأدبى " ، **رسالة ماجستير** ، كلية التربية ،جامعة طنطا .

٦٩- تله ، أزهار.(٢٠٠٧) ." فاعلية وحدة مقترحة فى تنمية التنور السياسى من خلال دراسة التاريخ لطلاب كليات التربية "، **رسالة ماجستير** ، كلية البنات ، جامعة عين شمس .

٧٠- فايد ، سامية .(٢٠٠٧) ." فاعلية برنامج عن بعض مصادر تعلم التاريخ فى تنمية الفهم بالسببية التاريخية وعلاقة ذلك بالأداء التدريسى لدى الطلاب المعلمين بكلية التربية " **رسالة دكتوراه** ، كلية التربية ، جامعة طنطا .

٧١- نافع ، سعيد .(١٩٨٢) ." أثر استخدام مداخل متعددة فى تدريس مادة التاريخ فى تنمية التفكير الناقد لدى تلاميذ المرحلة الثانوية " ، **رسالة دكتوراه** ، كلية التربية ،جامعة الإسكندرية .

ثالثاً : المجلات والمؤتمرات

٧٢-سورطى ، يزيد .(٢٠٠٢) . " **الماضوية فى التربية العربية** "، المجلة التربوية ، العدد ٦٢ ، المجلد ١٦ ، مركز النشر العلمى ، الكويت .

٧٣-مرسى ، فؤاد . (١٩٨٥) . بحث بعنوان : **المنهج بين الوحدة والتعدد رؤية تحليلية** ، من كتاب : إشكالية العلوم الاجتماعية فى الوطن العربى ، ط٢ ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية .

٧٤- عبد الوهاب ، لطفى .(١٩٩٥) . بحث بعنوان " **نحن والتاريخ وتحديات المستقبل** " ، من كتاب المجتمع العربى وتحديات القرن الحادى والعشرين ، ندوة عاطف غيث العلمية الخامسة ، دار المعرفة الجامعية .

٧٥- مصطفى ، شاكر .(١٩٧٤) ." **التاريخ هل هوعلم ؟** "، مجلة عالم الفكر ، إبريل – يونيو .

رابعاً : المراجع الأجنبية

76- Marx . Karl .(1946) **." Misere de la philosophie**" , Editions socials , Paris .*

77- burg . valken and others . (1957) **." Elements of political Geography"** , prentice hall.